مؤلفات الغزالي

تأليف

عبد الرحمن بدوي

الطبعة الثانية
١٩٧٧

الناشر
وكالة المطبوعات
٢٢ شارع فهد السالم - الكويت

ملاحق بنصوص

خاصة بمؤلفات الغزالي

فهرست(*) مؤلفات الغزالى

— ١ —

فى « الطبقات العلية فى مناقب الشافعية » للفقيه محمد بن الحسن بن عبدالله الحسينى الواسطى[1] المتوفى سنة ٧٧٦ هـ سنة ١٣٧٤ م قطعة مختارة فى المخطوط رقم ٧ مجاميع حليم بدار الكتب المصرية ، ورقة ٨٤ ا — ب فى ذكر غالب مصنفاته .

---

* وقد وردت أيضا دون ذكر المصدر الذى نقلت عنه فى المخطوط رقم ٢٥٣ تصوف بدار الكتب المصرية ، وهو الذى سماه بويج باسم « المجهول » Anonyme ، وقد سقط منه رقم ٠٢٨ — وفى هذا المخطوط ورقة ١٩٣ أ الى ٢٠٠ أ ترجمة الغزالى فى « الطبقات العلية فى مناقب الشافعية » لمحمد بن الحسين .

وتوجد نسخة أخرى من ترجمة الغزالى فى الطبقات العلية بعنوان : « رسالة فى مناقب الإمام الغزالى » فى المجموع رقم ٢٦٢٣ [٧] فى بنكيبور ، مفتاح الكنوز الخفية ج ١ ص ٤٤٧ ، وفى الفهرس أن المؤلف هو محمد بن الحسن ، وتقع فى خمس ورقات من ورقة ١١٨ — ١٢٢ ا = فهرس بنكيبور ١٣ برقم ٩٥٩ ورقة ١١٨ — ١٢٢ ا .

(١) محمد بن الحسن بن عبد الله الحسينى الواسطى ، ولد سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م واستقر بالقاهرة حيث عنى بالحديث ، وتوفى سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م .

راجع عنه : « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلانى ج ٣ ص ٤٢٠ برقم ١١٢١ (طبع حيدر آباد سنة ١٣٤٨ هـ) ؛ ابن قاضى شهبة : « طبقات الشافعية » ٢٦ ؛ ابن حجر : « إنباء الغمر بأبناء العمر » تحت سنة ٧٧٦ هـ .

وله من الكتب :

(١) « الطبقات (أو المطالب) العلية فى مناقب الشافعية » ، منها نسخة كاملة فى فيض الله باستانبول برقم ١٥٢٥ فى ١٩٣ ورقة مقاس ١٦ × ٢٢ سم (ومنه مكروفلم بالجامعة العربية برقم ٨٨٦) .

(٢) « مجمع الأحباب وتذكرة أولى الألباب » .

(٣) شفاء السقام فى زيارة خير الأنام » .

راجع GAL الملحق ج ٢ ص ٣٠ .

فمنها :

(١) البسيط .
(٢) والوسيط .
(٣) والوجيز .
(٤) والخلاصة .
(٥) إحياء علوم الدين .
(٦) المستصفى .
(٧) المنخول فى أصول الفقه .
(٨) اللباب .
(٩) بداية الهداية .
(١٠) منهاج العابدين .
(١١) كتاب الفردوس .
(١٢) كيمياء السعادة .
(١٣) المآخذ .
(١٤) التحصين .
(١٥) الاقتصاد فى الاعتقاد .
(١٦) إلجام العوام .
(١٧) كتاب المستظهرى .
(١٨) غور الدور فى الرد على ابن سريج فى مسئلة الطلاق .
(١٩) الفتاوى .
(٢٠) الرد على الباطنية .
(٢١) مقاصد الفلاسفة .
(٢٢) تهافت الفلاسفة .
(٢٣) جواهر القرآن .
(٢٤) الغاية القصوى .
(٢٥) فضائح الإمامية .
(٢٦) محك النظر .
(٢٧) معيار العلم[1] .
(٢٨) ميزان العمل .
(٢٩) الصراط المستقيم .
(٣٠) مدارك العقول .
(٣١) شفاء الغليل .
(٣٢) أساس القياس .
(٣٣) كتاب فى مسئلة كل مجتهد مصيب ، صنفه بدمشق .
(٣٤) حقيقة القولين .
(٣٥) المنتحل فى الجدل .

(١) فى رقم ٢٥٣ تصوف : معيار العلوم (وعند الترقيم أدمجه المرقم مع محك النظر) .

(٣٦)* شرح أسماء الله الحسنى .
(٣٧) مشكاة الأنوار .
(٣٨) المنقذ من الضلال .
(٣٩) كتاب الأربعين .
(٤٠) كتاب أسرار معاملات الدين .
(٤١) كتاب بدائع صنع الله .
(٤٢) كتاب مراقى الزُّلَف .
(٤٣) كتاب المبين عن دقائق علوم الدين .
(٤٤) كتاب التوحيد .
(٤٥) كتاب خصائص المقربين.
(٤٦) كتاب الكنز والعدة والأنيس فى الوحدة .
(٤٧) كتاب أخلاق الأبرار .
(٤٨) كتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة [٨٤ ب] .
(٤٩) كتاب قانون الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٥٠) كتاب القربة إلى الله .
(٥١) كتاب النصوح فى المواعظ .
(٥٢) كتاب تلبيس إبليس .
(٥٣) كتاب يسر[1] العلمين وكشف ما فى الدارين .
(٥٤) كتاب المعراج .
(٥٥) كتاب نصائح السلاطين .
(٥٦) كتاب حلى الأولياء .
(٥٧) كتاب قانون التأويل
(٥٨) كتاب منطق الطير
(٥٩) كتاب الوسائل إلى علم الوسائل
(٦٠) كتاب الإملاء
(٦١) كتاب حجة الحق فى توجيه الأسئلة على الأئمة
(٦٢) تنبيه الغافلين
(٦٣) الإشراف على مطالع الإنصاف

* ورد فى المخطوط برقم ٣٥ مكرر ، وتبعاً لهذا ينقص ما يلى بمقدار ١ .
(١) فى رقم ٢٥٣ تصوف : سراج السلمين وكشف ما فى الدارين .

(٦٤) المسائل البغدادية (٦٥) كتاب مآخذ الأدلة
(٦٦) لباب النظر (٦٧) كتاب مسائل الخلاف
(٦٨) المسترشدى (٦٩) كتاب المبادى والغايات
(٧٠) قواصم الباطنية (٧١) تعليق الأصول
(٧٢) كتاب مقصد الخلاف (٧٣) نهاية الوصول فى مسائل الأصول
(٧٤) كتاب إفحام أهل البدع (٧٥) تهذيب الأصول
(٧٦) كتاب الجداول المرقومة (٧٧) كتاب الأجوبة
(٧٨) التعليق الكبير (٧٩) كتاب المفردات
(٨٠) كتاب فى قتل المسلم بالذمى (٨١) كتاب الاختصار
(٨٢) كتاب المآخذ (٨٣) النفخ والتسوية
(٨٤) كشف علوم الآخرة (٨٥) الفتاوى[1] فى المذهب
(٨٦) خزائن الدين فى أسرار العالمين (٨٧) مراسيم الإسلام
(٨٨) الأجوبة المسكتة (٨٩) قانون التأويل
(٩٠) رسالة فى المنطق (٩١) الرسالة اللدنية
(٩٢) آلة المعارف العقلية (٩٣) وسائل الحاجات
(٩٤) الإنصاف فى مسائل الخلاف (٩٥) كتاب التعليق
(٩٦) كتاب لباب إحياء علوم الدين (٩٧) خلاصة المختصر
(٩٨) جواب مسائل متفرقة . وغير ذلك » اهـ

---

(١) ورد فى الهامش : تقدمت الفتاوى فى المذهب وهى التاسع عشر ، وتقدم كتاب قانون التأويل وهو السادس والخمسون .

- ٢ -

من طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هـ (= ٣/٧/١٣٧٠ م) عن المخطوطين رقم ١٦٣ تاريخ (ج ٣ ورقة ١٢٣ ا) ، ١٦٤ تاريخ (ورقة ٢٦١ ب — ٢٦٢ ا) بدار الكتب المصرية * « ذكر عدد مصنّفاته »

له فى المذهب :

(١) الوسيط** (٢) والبسيط
(٣) والوجيز (٤) والخلاصة

وفى سائر العلوم :

(٥) كتاب إحياء علوم الدين (٦) كتاب الأربعين
(٧) كتاب الأسماء الحسنى (٨) المستصفى فى أصول الفقه
(٩) المنخول[1] فى أصول الفقه ـ ألّفه فى حياة أستاذه إمام الحرمين
(١٠) بداية الهداية (١١) المآخذ فى الخلافيات
(١٢) تحصين المآخذ (١٣) كيمياء السعادة بالفارسية
(١٤) المنقذ من الضلال (١٥) اللباب المنتحل فى الجدل
(١٦) شفاء العليل فى بيان مسالك[ب] التعليل

---

* المخطوط ١٦٤ تاريخ فى مجلد واحد فى ٥٦ ؛ ورقة وتاريخ نسخه ؛ رجب سنة ١١٣٩ هـ ، أما المخطوط ١٦٣ ففى أربعة أجزاء ، وليس عليه تاريخ نسخ .

** الأرقام وضعناها نحن .

(ا) فى المخطوطين بالخاء المعجمة . (ب) بالكاف فى المخطوطين .

(١٧) الاقتصاد فى الاعتقاد (١٨) معيار النظر

(١٩) محك النظر (٢٠) بيان القولين للشافعى

(٢١) مشكاة الأنوار (٢٢) المستظهرى فى الرد على الباطنية

(٢٣) تهافت الفلاسفة

(٢٤) المقاصد فى بيان اعتقاد الأوائل — وهو مقاصد الفلاسفة

(٢٥) إلجام العوام فى علم الكلام (٢٦) الغاية القصوى

(٢٧) جواهر القرآن (٢٨) بيان فضائح الإباحية(ا)

(٢٩) غور الدور فى المسئلة السريجية ، وهو المختصر الأخير فيها رجع فيه عن مصنفه الأول فيها المسمّى بـ (٣٠) غاية الغور فى دراية الدور

(٣١) كشف علوم الآخرة (٣٢) الرسالة القدسية

(٣٣) الفتاوى (٣٤) ميزان العلم(ب)

(٣٥) مواهم الباطنية — وهو غير « المستظهرى » — فى الردّ عليهم

(٣٦) حقيقة الروح (٣٧) كتاب أسرار معاملات الدين

(٣٨) عقيدة المصباح (٣٩) المنهج الأعلى

(٤٠) أخلاق الأنوار (٤١) المعراج

(٤٢) حجة الحق (٤٣) تنبيه الغافلين

(٤٤) المكنون فى الأصول (٤٥) رسالة الأقطاب

(٤٦) مسلم السلاطين (٤٧) القانون الكلى

(٤٨) القربة إلى الله (٤٩) معيار(حـ) العلم

(ا) واضحة هكذا فى المخطوطين .

(ب) فى ١٦٤ كذلك ، وفى ١٦٣ : ميزان العمل .

(حـ) فى النسختين : معتاد العلم .

(٥٠) مفصل الخلاف فى أصول القياس (٥١) أسرار اتباع السُّنة

(٥٢) ميزان العمل (٥٣) تلبيس إبليس

(٥٤) المبادى والغايات(ا) (٥٥) الأجوبة

(٥٦) كتابة عجائب صنع الله . (٥٧) رسالة الطير

(٥٨) الرد على من طغى(ب)

(ا) فى ١٦٤ : المنادى والصابات .

(ب) فى ١٦٣ وردت (٥٧، ٥٨) ، كما ترى . وفى ١٦٤ : رسالة الطرد على من طغى !

— ٣ —

من « الطبقات الوسطى » للسبكى ، مخطوط رقم ٢٠٨٥ تاريخ تيمور بدار الكتب المصرية ، صفحة ٢٠٨ — ص ٢٠٩

*

ومن تصانيف الغزالى [٢٠٩] :

(١) البسيط (٢) والوسيط .
(٣) والوجيز (٤) والخلاصة
(٥) والمستصفى (٦) والمنخول(أ)
(٧) وتحصين المآخذ (٨) وشفاء الغليل(ب)
(٩) والأسماء الحسنى (١٠) والرد على الباطنية .
(١١) ومنهاج العابدين (١٢) وإحياء علوم الدين

وغير ذلك من المصنفات .

(أ) تحت الخاء نقطة وفوقها نقطة !
(ب) بالنون المسبوقة فى المخطوط .

— ٤ —

من كتاب « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » لطاش كبرى زاده (المتوفى سنة ٩٦٢ هـ) وفقاً للمخطوط رقم معارف عامة ١٧ م بدار الكتب المصرية ورقة ١٨١ ب — ١٨٢ ا (= من المطبوع جـ ٢ ص ٢٠٢ ، حيدر أباد)

... وأما مصنّفاته فمنها (١) كتاب الإحياء ، وهو من أجلّ الكتب وأحسنها وضعاً وأتمها إفادة ، وأعمّها نفعاً . وأول ما دخل إلى الغرب أنكر فيه بعض المغاربة أشياء ، وصنف عليه « الإملاء فى الرد على الإحياء » ثم رأى رؤيا ظهرت فيها كرامة الشيخ وصدق نيّته ، فتاب عن ذلك ورجع إلى الاعتقاد فى حقه . وأما الأحاديث التى لم تصح لا ينكر على إيرادها لجوازه فى الترغيب والترهيب . وكان الإمام فخر الدين الرازى يقول : كأنّ الله تعالى جمع العلوم فى رقية وأطلع الغزالى عليها ، أو كما قال . وقال الشيخ محيى الدين النووى : لو عدمت كتب الإسلام — والعياذ بالله تعالى ! — وبقى « الإحياء » لأغنى عما ذهب ، أو كما قال .

ومن مصنفاته : (٢) البسيط (٣) والوسيط (٤) والوجيز (٥) والخلاصة — وهذه الأربعة فى الفقه ، قيل :

هذّب المذهب حَبْرٌ أحسن (الله) خَلاصه
: « بسيط » و « وسيط » و « وجيز » و « خُلاصه »

ومع هذا الفضل الغزير لم يسلم مِنْ قال وقيل ، حتى خوطب بأنك ما عملت شيئاً : أخذت الفقه من كلام شيخك ، يعنى إمام الحرمين فى « نهاية المطلب » ، والتسمية لكتبك من « الواحدى » .

ومنها : (٦) المستصفى فى أصول الفقه (٧) والمنخول فى اللباب

(٨) وبداية الهداية (٩) وكيمياء السعادة

(١٠) وكتاب الفتاوى له — مشتمل على مائة وتسعين مسئلة، وهى غير مرتبة وله (١١) فتاوى أخرى غير مشهورة أقل من تلك . وصنف فى الخلاف

(١٢) المآخذ(١) (١٣) ثم تحصين المآخذ

(١٤) والجام العوام عن علم الكلام (١٥) والرد على الباطنية

(١٦) ومقاصد الفلاسفة (١٧) وتهافت الفلاسفة

(١٨) والأصول الأربعين (١٩) وجواهر القرآن

— وهما فى الحقيقة كتاب واحد ، ولكنه أذِن فى إفرادهما .

ومنها:(٢٠) الغاية القصوى

(٢١) والمقصد الأسنى فى شرح أسماء الله [١٨٢] الحسنى

(٢٢) ومنها مشكاة الأنوار (٢٣) والمنقذ من الضلال

(٢٤) والمنتحل فى علم الجدل. (٢٥) ومعيار العلم .

(٢٦) والقسطاس المستقيم . (٢٧) وغرر الدرر .

(٢٨) وحقيقة القولين . (٢٩) والمعارف العقلية .

(٣٠) والحكم الإلهية . (٣١) والمضنون به على أهله.

(٣٢) ومعراج السالكين . (٣٣) ومنهاج العارفين

فعليك بهذين الكتابين فإنهما يعجزان الواصف . يقال إن كتاب «المنهاج» لب كتاب «الإحياء» ، وآخر مصنفاته ، وهى أكثر من أن تحصى .

---

(١) بالمد فى المخطوط .

وينسب إليه تصنيفان ليسا له ، بل وُضِعا عليه وهما : « السر المكتوم » و « المضنون به على غير أهله» .

قيل إن الإمام الغزالى له نحو خمسماية مصنّف . يروى أن اجتمع فى خزائن الشيخ أبى إسحٰق الشيرازى نحو أربعماية مؤلف من مؤلفات الغزالى . وينسب إليه أيضاً شعر — من ذلك ما نسبه إليه ابن السمعانى فى « الذيل » والعماد الأصبهانى فى « الخريدة » .

*

وقد أورد « مفتاح السعادة » ورقة ١٨٣ ا (= ٢/٢٠٨ من المطبوع) قائمة أخرى نقلها عن طبقات الشافعية للسبكى ، وهى :

« ذكر مصنفاته فى المذهب :

(١) الوسيط . (٢) والبسيط .

(٣) والوجيز . (٤) والخلاصة .

وفى سائر العلوم :

(٥) كتاب إحياء علوم الدين. (٦) كتاب الأربعين .

(٧) كتاب شرح الأسماء الحسنى. (٨) المستصفى فى أصول الفقه .

(٩) والمنخول فيه أيضاً — ألفه فى حياة أستاذه إمام الحرمين .

(١٠) بداية الهداية . (١١) المآخذ فى الخلافيات .

(١٢) تحصين المآخذ . (١٣) كيمياء السعادة — بالفارسية .

(١٤) المنقذ من الضلال . (١٥) المنتحل فى الجدل .

(١٦) شفاء العليل فى مسالك التعليل .

(١٧) الاقتصاد فى الاعتقاد . (١٨) معيار النظر .

(١٩) محك النظر . (٢٠) تهافت الفلاسفة .

(٢١) المقاصد فى اعتقاد الأوائل — وهو مقاصد الفلاسفة .

(٢٢) إلجام العوام فى علم الكلام . (٢٣) الغاية القصوى .

(٢٤) جواهر القرآن . (٢٥) كشف علوم الآخرة .

(٢٦) الرسالة القدسية . (٢٧) الفتاوى .

(٢٨) ميزان القوى . (٢٩) حقيقة الروح .

(٣٠) أسرار معاملات الدين . (٣١) عقيدة المصباح .

(٣٢) النهج الأعلى . (٣٣) أخلاق الأبرار .

(٣٤) المعراج . (٣٥) حجة الحق .

(٣٦) تنبيه الغافلين . (٣٧) المكنون فى الأصول .

(٣٨) رسالة الأقطاب . (٣٩) سلم الشياطين .

(٤٠) القانون الكلى . (٤١) القربة إلى الله .

(٤٢) معيار العلم .

(٤٣) مفصل الخلاف فى أصول القياس .

(٤٤) أسرارا تباع السُّنّة . (٤٥) تلبيس إبليس .

(٤٦) المبادى والغايات . (٤٧) الأجوبة .

(٤٨) كتاب عجائب صنع الله .

وكتبه و رسائله خارج عن حد العدة والإحصاء ، ولم يتيسر لأحد معرفة أسماء مصنفاته كلها ، حتى يقال إن له أُلف مصنّف إلاّ واحداً ، وهذا و إن [١٨٣ ب] كان بعيداً عادةً ، لكن من عرف شأنه ربما يصدق » .

— ٥ —

من نفحات الأنس لعبد الرحمن الجامى (المتوفى سنة ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) ترجمة تاج الدين ابن زكريا القرشى العبشمى الأموى مخطوط رقم ح ٩٧٩٥ بدار الكتب المصرية ، ورقة ٢١٦ ب — ٢١٧ ا .

حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالى الطوسى قدس الله روحه

كنيته أبو حامد ، ولقبه زين الدين ، وانتسابه فى التصوف [٢١٧ ا] إلى الشيخ أبى على الفارمذى . قال حجة الإسلام : لقد سمعت الشيخ أبا على الفارمذى قدس الله روحه عن شيخه أبى القاسم الكركانى ـ قدس الله سرّه ! ـ أنه قال : « إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك ، وهو بعدُ فى السلوك غيرُ واصل » .

وكان فى بداية الحال فى طوس ونيسابور مشتغلا بتحصيل العلوم وتكميلها . فبعده اجتمع بنظام الملك وحصل له قبولٌ تام . فمن كان فى صحبة نظام الملك من العلماء والفضلاء باحثوه وناظروه ، فغلب عليهم . ففوضوا إليه تدريس النظامية ببغداد . فذهب إلى بغداد فى سنة أربع وثمانين وأربعماية ، فبعد الحج عزم إلى الشام ، وأقام فيها مدة مديدة ، وذهب إلى بيت القدس ، ثم مصر ،

وأقام بالإسكندرية مدة ، ثم رجع إلى الشام وأقام بها ما شاء الله . ثم رجع إلى الوطن ، وكان مشغولاً بحاله عن الخلائق .

وصنف كتباً مفيدة مثل :

(١) إحياء العلوم .

(٢) وجواهر القرآن .

(٣) وتفسير ياقوت التأويل ، أربعون مجلداً .

(٤) ومشكاة الأنوار — وغيرها من الكتب المشهورة .

ثم رجع إلى نيسابور ، ودرس فى نظامية بغداد . فبعد مدة رجع إلى الوطن ، فبنى خانقاه للصوفية ، ولطلبة العلم مدرسةً ، وقسم الأوقات على وظائف الخير من ختم القرآن وصحبة أرباب القلوب وتدريس العلوم ، حتى قبض فى رابع عشر جمادى الآخر سنة [٢١٧ ب] خمس وخمسماية » .

[ويذكر بعد ذلك مناماً فيه تمجيد لكتاب « قواعد العقائد »] .

— ٦ —

من « إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين »
(ج ١ ص ٢٧ وما يليها) للسيد محمد بن الحسينى الزبيدى الشهير بمرتضى (ألفه سنة ١١٩٣ هـ) .

الفصل التاسع عشر فى ذكر مصنفاته التى سارت بها الركبان

قال المناوى : نقل النووى فى بستانه عن شيخه التفليسى قال نقلاً عن بعضهم : إنه أحصيت كتب الغزالى التى صنفها ووزّعت على عمره فخص كل يوم أربعة كراريس . قلت : وهذا من قبيل نشر الزمان لهم ، وهو من أعظم الكرامات ، وقد وقع كذلك لغير واحد من الأئمة كابن جرير الطبرى ، وابن شاهين ، وابن النقيب ، والنووى ، والسبكى ، والسيوطى ، وغيرهم .

ثم إن الامام الغزالى — رحمه الله تعالى — له تصانيف فى غالب الفنون ، حتى فى علوم الحَرْف وأسرار الروحانيات ، وخواص الأعداء ، ولطائف الأسماء الإلهية ، وفى السيمياء ، وغيرها على ما سيأتى بيانها قريباً إن شاء الله تعالى .

فمِنْ أشرف مصنفاته وأشهرها ذكراً وأعظمها قدراً هذا الكتاب المسمى بـ (١) إحياء علوم الدين وسنشرح حاله ونتكلم على ما يتعلق به وبغيره على ترتيب حروف المعجم لأجل سهولة الكشف والمعرفة . فاقتضى تقديم هذا الكتاب فى الذكر لوجوه : الأول أن اسمه مبدوء بالألف . الثانى : شرفه على غيره لما فيه من علوم الآخرة . والثالث شهرته فى الآفاق وسيرورته مسير

الشمس فى الاحتراق ، حتى قيل إنه لو ذهبت كتب الإسلام و بقى « الإحياء » لأغنى عما ذهب .

وهو مرتب على أربعة أقسام : ربع العبادات ، وربع العادات ، وربع المهلكات ، وربع المنجّيات ، فى كل منها عشرة كتب ، فالجملة أربعون .

[و بعد هـــذا يذكر المرتضى أقوالاً لكثيرين فى فضل الكتاب ، أو فى الطعن عليه والرد على هذا الطعن] .

[٤٠] بيان مَنْ خدم الاحياء

لم أر مَنْ شَرَح هذا الكتاب ، ولا تعرض أحد لإيضاح سياقه المستطاب ، إلا ما كان من المصنّف نفسه لما بلغه من إنكار بعض المنكرين على مواضع منه كَتَب فى الرد عليهم كتاباً صغيراً سماه « الإملاء على الإحياء » وسيأتى ذكره فى تعداد مصنفاته .

وإنما خَرّج أحاديثه الإمام الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم ابن الحسين العراقى رحمه الله تعالى فى كتابين : أحدهما كبير الحجم فى مجلدات ، وهو الذى صنفه فى سنة ٧٥١ . وقد تعذر [٤١] الوقوف فيه على بعض أحاديثه . ثم ظفر بكثير مما غرب عنه إلى سنة ٧٦٠ . ثم اختصره فى مجلد وسمّاه « المغنى عن حمل الأسفار » — اقتصر فيه على ذكر طريق الحديث وصحابيّه ومُخْرِجه وبيان صحته وضعف مُخْرِجه. وحيث كرر المصنف الحديث اكتفى بذكره فى أول مرة . وربما أعاده لغرض من الأغراض .

ثم أتى تلميذه الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلانى فاستدرك عليه ما فاته فى مجلد .

وصنف الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفى كتاباً سماه « تحفة الأحياء فيما فات من تخريج أحاديث « الإحياء » .

ولابن السبكى كلامٌ على بعض أحاديثه المُتَكَلَّم فيها ، سرده على ترتيب الأبواب فى آخر ترجمته من « الطبقات الكبرى » .

بيان من اختصر كتاب « الإحياء »

أول من اختصره أخو المصنّف ، وهو أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالى توفى بقزوين سنة ٥٢٠ وسماه « لباب الإحياء » .

ثم اختصره أحمد بن موسى الموصلى المتوفى سنة ٦٢٢ .

ثم محمد بن سعيد اليمنى .

ويحيى بن أبى الخير اليمنى .

ومحمد بن عمر بن عثمان البلخى وسماه « عين العلم » .

وعبد الوهاب بن على الخطيب المراغى وسماه « لباب الإحياء » — ألفه فى بيت المقدس ، وهو عندى .

والشمس محمد بن على بن جعفر العجلونى المشهورة بالبلالى ، وهو شيخ خانقاه سعيد السعداء بمصر توفى سنة ٨٢٠ ، قال الحافظ السخاوى : وهو أحسن المختصرات .

والجلال السيوطى الحافظ .

وآخرون .

عود وانعطاف إلى ذكر بقية مصنفاته

حرف الألف

(٢) « الإملاء على مشكل الإحياء » أجاب فيه عن بعض ما اعترض عليه فى كتابه . ويسمى أيضاً : « الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المبهتة » . وهو مؤلف لطيف عندى .

(٣) ومنها « الأربعين » ـ وهو قسم من كتابه المسمى بجواهر القرآن . وقد أجاز أن يكتب مفرداً ، فكتبوه وجعلوه مستقلاً . وهو عندى .

(٤) ومنها كتاب « الأسماء الحسنى » .

(٥) ومنها « الاقتصاد فى الاعتقاد » .

(٦) ومنها « إلجام العوام عن علم الكلام » .

(٧) ومنها « أسرار معاملات الدين » .

(٨) ومنها « أسرار اتباع السنة » .

(٩) ومنها « أسرار الحروف والكلمات » .

(١٠) ومنها « أيها الولد » — وهى فارسية عربها بعض العلماء ، وسماه بهذا الاسم المشهور .

حرف الباء

(١١) « بداية الهداية » وهو مختصر فى الموعظة ذكر فيه ما لا بد منه للعامة من المكلفين : من العادات والعبادات .

(١٢) ومنها « البسيط » — فى فروع المذهب ؛ وهو كالمختصر « لنهاية المطلب » لشيخه إمام الحرمين ، الذى قال فيه ابن خلكان : ما صُنّف فى الإسلام مثله .

(١٣) ومنها « بيان القولين للشافعى » .

(١٤) ومنها « بيان فضائح الإباحية »

(١٥) ومنها « بدائع الصنيع » .

حرف التاء

(١٦) « تنبيه الغافلين » (١٧) ومنها « تلبيس إبليس » .

(١٨) ومنها « تهافت الفلاسفة » — صدّره بأربع مقدمات ، ردّ فيها على الفلاسفة ، ثم ذكر بعدها المسائل التى تَناقَض مذهبُهم فيها ، وهى عشرون مسئلة . وذكر فى خاتمته ما يقطع القول بكفرهم من ثلاثة وجوه . ـ وقد صنف فى الرد عليه أحد علماء الأندلس : القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد قال فيه فى آخره : لاشك أن هذا الرجل أخطأ على الشريعة ، كما أخطأ على الحكمة . ولولا ضرورة طلب الحق ، ما تكلمت فى ذلك . — ثم تكلم — فيما بعد — فى الحكمة بينهما من علماء الروم : مصطفى بن يوسف البرمونى ، المعروف بخواجه زاده ، والمولى علاء على الطرسوسى . وعلى الأول منهما تعليقة لابن كمال باشا .

(١٩) ومنها « التعليقة فى فروع المذهب » ـ كتبها بجرجان عن الإسماعيلى .

(٢٠) ومنها « تحصين المأخذ » (٢١) ومنها « تحصين الأدلة » .

(٢٢) ومنها تفسير القرآن العظيم » .

(٢٣) ومنها « التفرقة بين الإيمان والزندقة » — ذكره عياض فى آخر « الشفاء » .

حرف الجيم

(٢٤) « جواهر القرآن » ـ ذكر فيه أنه ينقسم إلى علوم وأعمال ، ظاهرة وباطنة ؛ والباطنة إلى تزكية وتحلية ، فهى أربعة أقسام ؛ وكل قسم يرجع إلى عشرة أصول ، فيشتمل على زبدة القرآن » . وهو عندى .

حرف الحاء

(٢٥) « حجة الحق » (٢٦) ومنها « حقيقة الروح »

(٢٧) ومنها « حقيقة القولين » .

حرف الخاء

(٢٨) « خلاصة الرسائل إلى علم المسائل » ـ فى فروع المذهب، أحد الكتب المشهورة ، ذكر فيه أنه اختصره من مختصر المزنى ، وزاد عليه .

حرف الراء

(٢٩) « رسالة الأقطاب » (٣٠) ومنها « رسالة الطير » .

(٣١) ومنها « الرد على من طعن[1] »

(٣٢) ومنها « الرسالة القدسية » بأدلتها البرهانية فى علم الكلام — كتبها لأهل القدس ، وقد شرحها المصنف .

حرف السين

(٣٣) « السر المصون » — وهو مؤلف رتب فيه الآيات [٤٢] القرآنية على أسلوب غريب ، يذكر عند كل جملة منها : أعداؤنا لن يصلوا إلينا بالنفس ولا بالواسطة ، لا قدرة لهم على إيصال السوء إلينا بحالٍ من الأحوال .

حرف الشين

(٣٤) « شرح دائرة على بن أبى طالب المسماة نخبة الأسماء » ـ وهو مشهور بين أيدى الناس .

(٣٥) ومنها « شفاء الغليل[ب] فى بيان مسئلة التعليل » — رتبه على مقدمة وخمسة أركان . وهو عندى : المقدمة فى بيان معانى القياس والعلة والدلالة . الركن الأول فى إثبات علّة الأصل . الثانى فى العلّة . الثالث فى الحكم . الرابع فى القياس . الخامس فى الفرع الملحق بالأصل .

(١) كذا فى المطبوع . (ب) بالنون المعجمة .

حرف العين

(٣٦) « عقيدة المصباح » (٣٧) ومنها « عجائب صنع الله »

(٣٨) ومنها « عنقود المختصر » — وهو تلخيص المختصر المقتصر من المزنى لأبى محمد الجوينى .

حرف الغين

(٣٩) « غاية الغور فى مسائل الدور » ـ ألفها فى المسئلة السريجية على عدم وقوع الطلاق . ثم رجع وأفتى بوقوعه .

(٤٠) ومنها « غور الدور » فى المسئلة المذكورة — وهو المختصر الأخير ، ألّفه ببغداد فى سنة ٤٨٤ هـ .

حرف الفاء

(٤١) « الفتاوى » — مشتملة على مائة وتسعين مسئلة ، غير مرتب

(٤٢) « فاتحة العلوم » — وهو مشتمل على فصلين

(٤٣) « فضائح الإباحية » (٤٤) « الفكرة والعبرة » .

(٤٥) « فواتح السور » .

(٤٦) « الفرق بين الصالح وغير الصالح » ـ ذكره فى كتابه « نصيحة الملوك »

حرف القاف

(٤٧) « القانون الكلى » (٤٨) ومنها « قانون الرسول »

(٤٩) ومنها « القربة إلى الله عز وجل »

(٥٠) ومنها « القسطاس المستقيم » ـ مختصر ، جعله ميزاناً لإدراك حقيقة المعرفة

(٥١) ومنها « قواعد العقائد » — وهو فى علم الكلام ، شرحه السيد

ركن الدين الأسترابادى ، والعلامة محمد أمين بن صدر الدين الشروانى

(٥٢) « القول الجميل فى الرد على مَنْ غَيَّرَ الإنجيل »

حرف الكاف

(٥٣) « كيمياء السعادة والعلوم » — بالفارسية ، وهو كتاب كبير ، يقال إنه ترجم فيه كتابه « الإحياء » . وقد رأيته بمكة . وقد تكلم عليه فى مواضع منه تقدمت الإشارة إليه . — وكتاب آخر صغير بالعربية ، نحو أربعة كراريس ، سماه كذلك . وهو عندى

(٥٤) ومنها « كشف علوم الآخرة » (٥٥) ومنها « كنز العدّة »

حرف اللام

(٥٦) « اللباب المنتخل فى الحلول »

حرف الميم

(٥٧) « المستصفى فى أصول الفقه » — مؤلف ضخم ، رتبه على مقدمة ، وأربعة أقطار ، وخاتمة . فالمقدمة فيها التوطئة والتمهيد . والقطر الأول فى الأحكام المشتملة على لباب المقصود . — الثانى فى الأدلة الحكمية . — الثالث : فى ذكر الاشتهار والمناسبة . — الرابع فى الاستمرارات . — والخاتمة : فى الإيقاعات . وذكر فى أوله أنه صنّفه قبل « الإحياء » .

واختصره أبو العباس أحمد بن محمد الإشبيلى المتوفى سنة ٦٥١

وشرحه الفاضل أبو على الحسن بن عبد العزيز الفهرى ، المتوفى سنة ٧٧٦

وعليه تعليقة لسليمان بن داود الغرناطى ، المتوفى سنة ٨٣٢

(٥٨) ومنها « المنخول فى الأصول » — قال ابن السبكى : ألّفه فى حياة أستاذه إمام الحرمين . قلت : والذى يقتضى سياق عبارة « المستصفى » فى أوله أنه متأخر عن « الإحياء » و « كيمياء السعادة » و « جواهر القرآن » لأنه بعد ما ذكر هذه الكتب الثلاثة قال : ثم ساقنى التقدير الإلهى إلى التصدر للتدريس فكُتِب من تقريرى فى علم أصول الفقه ، فحصّلوا تصنيفاً على طريق لم يقع مثله فى تهذيب الأصول . فلما أكملوه عرضوه علىّ ، ولم أُخَيِّب سعيَهم ، وسميته « المنخول » .

وللشيخ شمس الأئمة الكردى الحنفى فى الرد عليه مصنّف لطيف . وهو عندى .

(٥٩) ومنها « المأخذ » فى الخلافات بين الحنفية والشافعية .

(٦٠) ومنها « المبادى والغايات فى أسرار الحروف المكنونات »

(٦١) ومنها « المجالس الغزالية » — وذكر ابن السبكى أنه لما عقد مجلس الوعظ ببغداد ، ازدحم الناس عليه ، فكان يدوّن مجالس وعظه من وراء الناس الشيخُ الصاعد بن فارس المعروف بابن اللبان . فبلغت مائة وثلاثة وثمانين مجلساً . ثم قرأها بعد ذلك عليه ، فأجازه بها بعد أن صححها . فبيّضها فى مجلدين ضخمين .

(٦٢) ومنها « مقاصد الفلاسفة » — عرّف فيه مقاصدهم ، وحكى من معلوماتهم .

(٦٣) ومنها « المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال » — بث فيه غاية العلوم وأسرارها ، والمذاهب وأغوارها ، وردّ فيه على الحكماء الفلاسفة ، ونسبهم إلى الكفر والضلال . وهو عندى .

(٦٤) ومنها « معيار النظر » (٦٥) ومنها « معيار العلم » فى المنطق

(٦٦) ومنها « محل النظر »[1]

(٦٧) ومنها « مشكاة الأنوار فى لطائف الأخيار » فى الموعظة — حصر مقصوده فى ثمانية وأربعين باباً . قال فى أوله : انكشف لأرباب القلوب أن لا وصول إلى السعادة للإنسان إلا بإخلاص العلم والعمل للرحمن . فسنح فى خاطرى أن أجمع كتاباً [٤٣] جامعاً تجمع أشياء من آيات القرآن العظيم وسُنَن الرسول عليه الصلاة والسلام وكلمات الأولياء ونكت المشايخ — رحمهم الله تعالى — وحِكَم أهل العرفان . وأخذت من كل ما يشوِّق القلب إليه سبحانه وطاعته ، ويقطع لذة النفس عن الدنيا وشهواتها ، ويرغّبها فى الآخرة ودرجاتها — إلى آخر ما قال . وهو عندى .

(٦٨) ومنها « المستظهرى فى الرد على الباطنية »

(٦٩) ومنها « ميزان العمل »

(٧٠) ومنها « مواهم الباطنية » — قال ابن السبكى ، وهو غير « المستظهرى » فى الرد عليهم .

(٧١) ومنها « المنهج الأعلى »

(٧٢) ومنها « معراج السالكين » ـ وهو مختصر أورد فيه المواعظ والتذكير

(٧٣) ومنها « المكنون فى الأصول » (٧٤) ومنها « مسلم السلاطين »

(٧٥) ومنها « منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين » — قيل هو آخر تأليفه . رتبه على سبع عقبات وقال فى أوّله : صنفنا فى قطع طريق الآخرة ومايحتاج إليه من علم وعمل — كتباً كـ « إحياء العلوم » و « القربة إلى الله عز وجل » فلم يحسنوها . فأيّما كلام أفصح من كلام رب العالمين ! فقد قالوا أساطير

(١) صوابه : محك النظر .

الأولين ، واقتضت الحالُ النظرَ إلى كافة خلق الله بعين الرحمة وترك المماراة . فابتهلت إلى الله سبحانه أن يوفقنى لتأليف كتاب يقع عليه الإجماع ، ويحصل بقراءته الانتفاعُ . فأجابنى ، وأطلعنى — بفضله وكرمه — على أسرار ذلك ، وألهمنى ترتيباً عجيباً لم أذكره فى التى تقدمت » .

وقد شرحه شمس الدين البلاطنسى شرحين : كبيراً وصغيراً ؛ ثم اختصر « المنهاج » فى جزء سماه « بغية الطالبين » .

قلتُ : ولم يذكره السبكى فى تعداد مصنفاته . ورأيت فى كتاب « المسامرة » للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى — قدس الله سرّه ! — مانصّه : « إن الشيخ أبا الحسن على بن خليل السبتى كان عالماً بالحقيقة ، عارفاً ، مخمول الذكر . رأيته بسبته ، وتباحثت معه . ورأيت له تصانيف ، منها « منهاج العابدين » الذى يُعْزَىٰ لأبى حامد الغزالى وليس له ، وهو غريب يستفاد » .

حرف النون

(٧٧) « نصيحة الملوك » — فارسى ، نقله بعضهم إلى العربية ، وسماه « التبر المسبوك » .

حرف الواو

(٧٨) « الوجيز » فى الفروع — أخذه من « البسيط » و « الوسيط » له ، وزاد فيه أموراً . وهو كتاب جليل ، عمدة فى المذهب .

شرحه الفخر الرازى ، وأبو الثناء محمود بن أبى بكر الأرموى ، والعماد أبو حامد محمد بن تونس الإربلى ، وأبو الفتوح العجلى ، وأبو القاسم عبدالكريم

ابن محمد القزوينى الرافعى وسماه « العزيز على الوجيز » ، وقد تورع بعضهم فسماه « فتح العزيز » . وقد اختصر النووى من شرح الرافعى كتاباً سماه « الروضة ».

وقد خدم « الوجيز » علماء كثيرون ، ويقال إن له نحو سبعين شرحاً . وقد قيل : لو كان الغزالى نبياً لكان معجزته « الوجيز » .

أما من خرّج أحاديثه : فابن الملقن فى سبع مجلدات ، سماه « البدر المنير » ، ثم اختصره فى أربع مجلدات سماه « الخلاصة » ، ثم لخصه وسمّاه « المنتقى » فى جزء وهو عندى . ولخصه أيضاً الحافظ ابن حجر . ومنهم البدر بن جماعة ، والبدر الزركشى ، والشهاب البوصيرى ، والجلال السيوطى وآخرون .

(٧٩) ومنها « الوسيط » فى فروع الفقه ، وهو ملخص من « بسيطه » مع زيادات . وهو أحد الكتب الخمس المتداولة .

شرحه : تلميذه محمد بن يحيى النيسابورى ، وسماه « المحيط » فى ستة عشر مجلداً .

وشرحه نجم الدين أحمد بن على بن الرفعة فى ستين مجلداً ، وسماه « المطلب »

وشرحه النجم القمولى ، وسماه « البحر المحيط » .

وشرحه الظهير جعفر بن يحيى التزنيتى ، ومحمد بن عبدالحكم ، والعز بن أحمد المدلجى ، وأبو الفتوح العجلى ، وإبراهيم بن عبدالله بن أبى الدم ، وابن الصلاح على الربع الأول فى ضربين ، والكمال أحمد بن عبدالله الحلبى الشهير بابن الأستاذ فى أربع مجلدات ، ويحيى بن أبى الخير اليمنى ؛ وعليه حواشٍ للعماد عبد الرحمن بن على المصرى القاضى .

وخرّج أحاديث الوسيط السرّاج ابن الملقن ، سماه « تذكرة الأخيار بما فى الوسيط من الأخبار » فى مختصر .

واختصره النور إبراهيم بن هبة الله الإسنوى .

وشرح فرائضه فقط إبراهيم بن إسحٰق المناوى .

وقد مدح كتبه الأربعة أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن يوسف الطرابلسى فقال :

هذّب المذهب حَبْرٌ أحسن الله خَلاصَه
بـ « بسيط » و « وسيط » و « وجيز » و « خُلاصه »

حرف الياء

(٨٠) « ياقوت التأويل فى تفسير التنزيل » أربعون مجلداً .

تنبيه

اعلم أنه قد عزى إلى الشيخ أبى حامد الغزالى كتبٌ ، وقد صرّح أهل التحقيق أنها ليست له ، من جملتها :

(ا) « السر المكتوم فى أسرار النجوم » — [٤٤] ونسب هذا الكتاب إلى الإمام الفخر ، فأنكر كونه له أيضاً . لكن أصحاب الروحانيين وأهل التصحيح ينقلون منه أشياء كثيرة بقولهم : قال الفخر الرازى فى كتابه « السر المكتوم فى أسرار النجوم » كذا وكذا . قال صاحب « تحفة الإرشاد » : هو موضوع عليه .

(ب) ومنها كتاب « تحسين الظنون » ، وله فيه :

لا تظنوا الموت موتاً إنه لحياةٌ ، وهى غايات المُنىٰ
أحسِنوا الظنّ بربٍّ راحمٍ تشكروا السَّعْىَ وتأتوا أمنا
ما أرى نفسِىَ إلّا أثمٌ واعتقادى أنكم أتم أنا

وقد صرح الشيخ الأكبر أنه موضوع .

(ح) ومنها كتاب « النفخ والتسوية » — ، فإنه كذلك موضوع عليه .

(ء) ومنها « المضنون به على غير أهله » — قال ابن السبكى ، وذكر ابن الصلاح أنه منسوب إليه ، وقال : معاذ الله أن يكون له ! وبَيَّنَ سببَ كونه مُخْتَلَقاً موضوعاً عليه . والأمر كما قال . وقد اشتمل على التصريح بقدم العالم ، ونفى علم القديم بالجزئيات . وكلُّ واحدٍ من هذه يكفِّر الغزالىُّ قائلَها هو وأهل السنة أجمعون . فكيف يتصور أنه يقولها ! — وهو عندى . — وفى « المسامرة » أنه من تأليف على بن خليل السبتى . وكذلك صرح صاحب « تحفة الإرشاد » بأنه موضوع عليه .

وقد صنف أبو بكر محمد بن عبدالله المالقى كتاباً فى ردّه ، وتوفى سنة ٧٥٠هـ.

— ٧ —

مؤلفات الغزالى كما ذكرها « تعريف الأحياء بفضائل الإحياء »

لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوى المتوفى سنة ١٠٣٨ هـ (المطبوع بهامش « إتحاف السادة المتقين » للمرتضى

[هامش ص ٣٠]

ومن مشهورات مصنفاته :

(١) البسيط (٢) والوسيط (٣) والوجيز

(٤) والخلاصة ـ فى الفقه

(٥) وإحياء علوم الدين ـ وهو من أنفس الكتب وأجلها

(٦) المستصفى (٧) والمنخول (٨) والمنتحل فى علم الجدل

(٩) وتهافت الفلاسفة (١٠) ومحك النظر

(١١) ومعيار العلم (١٢) والمقاصد

(١٣) والمضنون به على غير أهله (١٤) ومشكاة الأنوار

(١٥) والمنقذ من الضلال (١٦) وحقيقة القولين

(١٧) وكتاب ياقوت التأويل فى تفسير التنزيل ـ أربعين مجلداً

(١٨) وكتاب أسرار علم الدين (١٩) وكتاب منهاج العابدين

(٢٠) وكتاب الدرة الفاخرة فى كشف علوم الآخرة

(٢١) وكتاب الأنيس فى الوحدة (٢٢) وكتاب القربة إلى الله عز وجل

(٢٣) وكتاب أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار

(٢٤) وكتاب بداية الهداية (٢٥) وكتاب جواهر القرآن

(٢٦) والأربعين فى أصول الدين

(٢٧) وكتاب المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى

(٢٨) وكتاب ميزان العمل (٢٩) وكتاب القسطاس المستقيم

(٣٠) وكتاب التفرقة بين الإسلام والزندقة

(٣١) وكتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة

(٣٢) وكتاب المبادىء والغايات (٣٣) وكتاب كيمياء السعادة

(٣٤) وكتاب تلبيس إبليس (٣٥) وكتاب نصيحة الملوك

(٣٦) وكتاب الاقتصاد فى الاعتقاد

(٣٧) وكتاب شفاء العليل فى القياس والتعليل

(٣٨) وكتاب المقاصد

(٣٩) وكتاب إلجام [هامش ص ٣١] العوام عن علم الكلام

(٤٠) وكتاب الانتصار (٤١) وكتاب الرسالة اللدنية

(٤٢) وكتاب الرسالة القدسية (٤٣) وكتاب إثبات النظر

(٤٤) وكتاب المأخذ

(٤٥) وكتاب القول الجميل فى الرد على من غير الانجيل

(٤٦) وكتاب المستظهرى (٤٧) وكتاب الأمالى

(٤٨) وكتاب فى علم أعداد الوفق وحدوده

(٤٩) وكتاب مقصد الخلاف

(٥٠) وجزء فى الرد على المنكرين فى بعض ألفاظ « إحياء علوم الدين »

وكتبه كثيرة وكلها نافعة

من طبقات الشافعية لقاضى القضاة تقىّ الدين ابن شهبة المتوفى سنة ٨٥١ هـ عن النسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ١٥٦٨ تاريخ .

[ورقة ٣١ ب] .

محمد بن محمد بن محمد الإمام حجة الإسلام زين الدين أبو حامد الطوسى الغزالى:

ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة . أخذ عن الإمام ، ولازمه ، حتى صار أنظر أهل زمانه . وجلس للإقراء فى حياة إمامه ، وصنّف .

وبعد وفاة الإمام حضر مجلس نظام الملك ، فأقبل عليه ، فوجده رجلًا فخلًا[1] عظيماً ، فولاه نظامية بغداد ، فدرّس بها مدة . ثم تركها ، وحج ورجع إلى دمشق وأقام بها عشر سنين . وصنف فيها كتباً يقال إن « الإحياء » منها . ثم صار إلى القدس والإسكندرية . ثم عاد إلى وطنه بطوس ، مقبلًا على التصنيف والعبادة ونشر العلم . ودرّس بنظامية نيسابور مدةً ثم تركها ، وبنى خانقاه للصوفية[2] ومدرسة للمشتغلين . وأقبل على النظر فى الأحاديث ، خصوصاً البخارى .

توفى فى جمادى الأخرة سنة خمس وخمسمائة .

ومن تصانيفه :

(١) البسيط ، وهو كالمختصر «للنهاية» .

(٢) والوسيط ملخص منه ، وزاد فيه أموراً من « الإبانة » للفوارنى ،

(١) ص : محلا . (٢) ص : الصوفة .

ومنها أخذ هذا الترتيب الحسن الواقع فى كتبه ، « وتعليق » القاضى الحسين ، « والمهذب » واستمداده منه كثير[1] كما نبه عليه فى « المطلب » .

ومن تصانيفه (٣) الوجيز (٤) والخلاصة — مجلد دون «التنبيه» .

(٥) وكتاب الفتاوى له يشتمل على مائة وتسعين مسئلة ، وهى غير مرتبة .

وله (٦) فتاوى أخرى غير مشهورة أقل من تلك .

وصنف فى الخلاف : (٧) المآخذ — جمع مأخذ . ثم صنف كتاباً آخر[2] فى الخلاف سماه : (٨) تحصين المآخذ .

وصنف فى المسئلة السريجية تصنيفين

(٩) اختار فى إحدهما عدم وقوع الطلاق .

(١٠) والآخر الوقوع .

(١١) وكتاب الإحياء — وهو الأعجوبة العظيمة الشأن .

(١٢) و بداية الهداية — فى التصوف (١٣) والمستصفى فى أصول الفقه

(١٤) والمنخول (١٥) و إلجام العوام .

(١٦) والرد على الباطنية (١٧) ومقاصد الفلاسفة .

(١٨) وتهافت الفلاسفة (١٩) وجواهر القرآن .

(٢٠) وشرح الأسماء الحسنى (٢١) ومشكاة الأنوار

(٢٢) والمنقذ من الضلال وغير ذلك » .

تعليقات

« الإبانة » للفورانى : الفُورانى هو عبد الرحمن بن محمد بن فوران (بضم الفاء) الفورانى ، أبو القسام المروزى ، من أصحاب القفال . صنف

(١) ص : كثيرة (٢) ص : أخرى .

« الإبانة » فى مجلدين . وذكر فى خطبة « الإبانة » أنه يبيّن الأفصح من الأقوال والوجوه . وهو من أقدم المبتدئين بهذا الأمر (راجع طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ، المخطوط نفسه ورقة ٢٥ ب) . وقد توفى فى رمضان سنة ٤٦١ (يونية سنة ١٠٦٩) .

ويوجد من « الإبانة » مخطوط فى دار الكتب المصرية ط[1] ج ٣ ص ٢٠٠ راجع GAL ١/٣٨٧ .

التهذيب : تصنيف الحسين بن مسعود بن محمد محيى الدين أبو محمد البغوى ، ويعرف بابن الفرا تارة وبالفرا أخرى . تفقه على القاضى الحسين . توفى بمرو الروذ فى شوال سنة ست عشرة وخمسماية . والبغوى نسبة إلى بغا ، بفتح الباء ، قرية بين هراة ومرو . ومن تصانيفه « التهذيب » لخصه من تعليق شيخه ، وهو تصنيف مبين محرر عار عن الأدلة غالباً (عن طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ، المخطوط نفسه ورقة ٢٩ ب) .

العمدة للقاضى الحسين وهو : الحسين بن على بن الحسين ، أبو عبد الله الطبرى ، نزيل مكة ، تفقه على ناصر العمرى بخراسان ، وعلى القاضى أبى الطيب الطبرى ببغداد ، ثم لازم الشيخ أبا إسحق الشيرازى حتى برع فى المذهب والخلاف وصار من عظماء أصحابه . ودرس بنظامية بغداد قبل الغزالى . وكان يدعى إمام الحرمين لأنه جاور بمكة نحواً من ثلاثين سنة . وتوفى فى مكة فى شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة كذا ذكره الذهبى ؛ وفى نسبه ووقت وفاته ومكانها اختلاف . وله كتاب العمدة خمسة أجزاء ، ضخم قليل الوجود ، قال السبكى وهو شرح على « إبانة » الفورانى (عن طبقات الشافعة لابن قاضى شهبة ، المخطوط نفسه ، ورقة ٢٧ ا) .

— ٩ —

من « تاريخ دمشق » لابن عساكر (المتوفى فى ١١ رجب سنة ٥٨١ = ١١٧٦/١/١٢) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٩٢ تاريخ(*) ج ١ ص ٣٤٠ وما بعدها .

محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الطوسى المعروف بالغزالى ، الفقيه الشافعى . كان إماماً فى علم الفقه مذهباً [٣٤١] وخلافاً ، وفى أصول الديانات والفقه . وسمع صحيح البخارى من أبى سهل محمد بن عبيد الله الحَفْصى وولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد .

ثم خرج إلى الشام زائراً لبيت القدس . فقدم دمشق سنة تسع وثمانين وأربعماية ، وأقام بها مدة . وبلغنى أنه صنّف فيها بعض مصنّفاته .

ثم رجع إلى بغداد . ومضى إلى خراسان . ودرّس مدةً بطوسى . ثم ترك التدريس والمناظرة واشتغل بالعبادة .

أنبأنا أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسى فى تذييله « تاريخ نيسابور » قال : محمد بن محمد أبو حامد الغزالى الطوسى ... شدا طرفاً — فى صباه بطوس — من الفقه على الإمام أحمد الراذكانى . ثم قدم نيسابور مختلفاً إلى دروس إمام الحرمين . وجدّ واجتهد حتى خرج فى مدة قريبة ، وبذّ الأقران وحمل القرآن ، وصار أنظر أهل زمانه وواحدَ أقرانه فى أيام إمام الحرمين . وكان الطلبة

(*) من الأسف أن هذا المخطوط الذى استنسخته دار الكتب المصرية ملىء بالتحريف لجهل الناسخ .

يستفيدون منه ويدرّس لهم ويرشدهم ويجتهد فى نفسه . وبلغ الأمر به إلى أن أخذ فى التصنيف . وكان الإمام — مع درجته — لا يصغى نظره إلى الغزالى [٣٤٢] سرّاً لإنافته عليه فى سرعة العبارة وقوة الطبع ، ولا يحسب له تصدّيه للتصانيف ، وإن كان منتسباً إليه ، كما لا يخفى من طباع البشر ؛ لكنه يظهر التبجح به والاعتداد بمكانه مُظْهِراً خلاف مايضمره .

ثم بقى كذلك إلى انقضاء أيام الإمام . فخرج من نيسابور ، وصار إلى المعسكر . واحتل من مجلس نظام الملك محلّ القبول ، وأقبل عليه الصاحب(!) لعلوّ درجته وظهور اسمه وحسن مناظرته وجرى عبارته . وكانت تلك الحضرة محطّ رحال العلماء ، ومقصد الأئمة والعظماء . فوقعت للغزالى اتفاقات سادة من الاحتكاك بالأئمة وملاقاة الخصوم اللُّدّ ومناظرة الفحول ، ومناقرة الكبار ، فظهر اسمه فى الآفاق ، وارتفق بذلك أكمل الارتفاق ؛ حتى أدت الحال به إلى أن رُسِمَ للمصير إلى بغداد للقيام بالتدريس بالمدرسة الميمونة النظامية . فصار إليها ، وأعجب الكل بتدريسه ومناظرته ... وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق .

ثم نظر فى علم الأصول ، وكان قد أحكمها فصنّف فيها تصانيف ، وسبك الخلاف فحرر فيه أيضاً تصانيف . وعلت حشمته ودرجته فى بغداد ، حتى كان يَغْلِبُ حِشْمَةَ الأكابر والأمراء [٣٤٣] ودار الخلافة . فانقلب الأمر من وجه آخر ، وظهر عليه — بعد مطالعة العلوم الدقيقة وممارسة الكتب المصنّفة فيها — طريقُ التزهد والتألّه وترك الحشمة ، وطرح ما نال من الدرجة ، والاشتغالُ بأسباب التقوى وزادِ الآخرة .

فخرج عما كان فيه . وقصد بيت الله تعالى ، وحجّ . ثم دخل الشام ، وأقام فى تلك الديار قريباً من عشر سنين ، يطوف ويزور المشاهد المعظمة . وأخذ

فى التصانيف المشهورة التى لم يُسْبَق إليها مثل « إحياء علوم الدين » ، والكتب المختصرة : منها مثل « الأربعين » وغيرها من المختصرات التى من تأملها علم محلّ الرجل من فنون العلم . وأخذ فى مجاهدة النفس وتغيير الأخلاق وتحسين الشمائل وتهذيب المعاش . فانقلب شيطان الرعونة وطلبِ الرياسة والجاه والتخلق بالأخلاق العظيمة إلى سكون وكرم الأخلاق والفراغ عن الرسوم والتزيينات والتزيى بزىّ الصالحين وقصر الأمل ، ووقف الأوقاف على هداية الخلق ودعائهم إلى ما يعنيهم من أمر الآخرة وتبغيض الدنيا والاشتغال بها على السالكين والاستعداد للرحيل إلى الدار الباقية ، والانقياد لكل من يتوسم فيه أو يشتم [٣٤٤] منه رائحة المعرفة أو اليقظة لشىء من أنوار المشاهدة ، حتى مرِن على ذلك ولان .

ثم عاد إلى وطنه لازماً بيته ، مشتغلا بالتفكر ، ملازماً للوقت ، مقصوداً نفيساً وذخراً للقلوب ولكل من يقصده ويدخل عليه . إلى أن أتى على ذلك مدةٌ ، وظهرت التصانيف وفشت الكتب ، ولم يَبْدُ فى أيامه مناقضة لما كان فيه ولا اعتراض على ما [...] حتى انتهت نوبة الوزارة إلى الأجل ، فخر الملك ، جمال الشهداء ، تغمّده الله برحمته وتزينت خراسان لحشمته ودولة . وقد سمع وتحقق بمكان الغزالى ودرجته ، وكمال فضله وحاله ، وصفاء عقيدته ونقاء سريرته . فتبرّك به ، وحضره وسمع كلامه ، فاستدعى منه أن لاتبقى أنفاسه وفوائده عقيمة لا استفادة منها ولا اقتباس من أنوارها . وألح عليه كل الإلحاح وتشدد فى الاقتراح إلى أن أجاب إلى الخروج وَعَمِد إلى نيسابور . وكان الليث غائباً عن عرينه والأمر خافياً فى مستور قضاء الله ومكنونه . فاشتد عليه فى التدريس فى المدرسة الميمونة النظامية ، عمرها الله . فلم يجد بدّاً من الإذعان للولاة ، ورءى إظهار ما اشتغل به هداية الشداة وإفادة القاصدين ، دون الرجوع إلى ما انخلع عنه

ومحرّز [٣٤٥] عن ربقه : مِنْ طلبِ للجاه ومماراة الأقران ومكابدة المعاندين ، وكم قرع عصاه بالخلاف والوقوع فيه والطعن فيما يذره ويأتيه ، والسعاية به والتشنيع عليه . فما تأثر به ، ولا اشتغل بجواب الطاعنين ، ولا أظهر استيحاشاً بغميزة المخاطين .

ولقد زرته مراراً وما كنت أحدس فى نفسى مع ما عهدته فى سالف الزمان عليه من الذعارة والجأش والبأس والنظر إليهم بعين الازدراء والاستخفاف بهم كِبْراً وخُيلاء واعتزازاً[1] بما رزق من البسطة فى النطق والخاطر والعبارة وطلب الجاه والعلو فى المنزلة — أنه صار على الضد وتصفّى عن تلك الكدورات . وكنت أظن أنه متلفع بجلباب التكلف ، متنمس بما صار إليه . فتحققت بعد السَّبْر والتنقير أن الأمر على خلاف المظنون ، وأن الرجل أفاق بعد الجنون . وحكى لنا فى كتاب له فيه أحواله من ابتداء ماظهر له سلوكه طريق التأله وغلبة الحال عليه بعد تبحّره فى العلوم واستطالته على الكل بكلامه ، والاستعداد الذى خصّه الله به فى تحصيل أنواع العلوم وتمكنه فى البحث والنظر ، حتى تبرم من الاشتغال بالعلوم العربيّة[2] عن المعاملة وتفكر فى العاقبة وما [٣٤٦] يجرى وينفع فى الآخرة . فابتدأ بصحبة الفارمذى . وأخذ منه استفتاح الطريقة وامتثل ما كان يشير به عليه من القيام بوظائف العبادات ، والإمعان فى النوافل واستدامة الأذكار والجد والاجتهاد طلباً للنجاة . إلى أن جاز تلك العقبات ، وتكلف تلك المشاق ، وما تحصل على ما كان يطلبه من مقصوده .

ثم حكى أنه راجع العلوم وخاض فى الفنون وعاود الجد والاجتهاد فى كتب العلوم الدقيقة بأربابها حتى انفتح له أبوابها وبقى مدة فى الوقائع وتكافؤ الأدلة وأطراف المسائل .

(١) هى : افتراراً . (٢) ص : ليال . (٣) ص : العربية .

ثم إنه حكى أنه فتح عليه باب من الخوف بحيث شغله عن كل شيء ، وحمله الإعراض عما سواه ، حتى سهل ذلك . هكذا هكذا إلى أن ارتاض كل الرياضة ، وظهرت له الحقائق ، وصار ما كنا نظن به ناموساً وتخلقاً — طبعاً وتحققاً ، وأن ذلك أثر السعادة المقدّرة له من الله .

ثم سألنا عن كيفية ترعيته والخروج من بيته والرجوع إلى مادعى إليه من أمر نيسابور فقال معتذراً عنه : ما كنت أجوز فى دينى أن أقف عن الدعوة ومنفعة الطالبين الإفادة . وقد حقّ علىّ أن أبوح بالحق وأنطق به وأدعو إليه .

وكان صادقاً فى ذلك . ثم ترك ذلك قبل أن يترك[1] ، وعاد إلى بيته واتخذ [٣٤٧] فى جواره مدرسة لطلبة العلم وخانقاه للصوفية . وكان قد وزع أوقاته على وظائف الحاضرين : من ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس بحيث لاتخلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة . إلى أن أصابه غِيَر الزمان وضنّ الأيام به على أهل عصره . فنقله الله إلى كريم جواره بعد مقاساة أنواع القصد والمناوأة من الخسرم ، والسعى به إلى الملوك ، وكفاية الله وحفظه الله وصيانته عن أن تنوشه أيدى النكبات أو يتهك ستر دينه بشيء من الزلّات . وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومجالسة أهله ، ومطالعة الصحيحين البخارى ومسلم اللذين هما حجة الإسلام . ولو عاش لسبق فى ذلك العز بيسير من الأيام يستفرغه فى تحصيله . ولا شك أنه سمع الأحاديث فى الأيام الماضية ، واشتغل فى آخر عمره بسماعها ، ولم يتفق له الرواية .

ولا ضرر فيما خلفه من الكتب المصنفة فى الأصول والفروع وسائر

(١) أى قبل أن يترك الدنيا .

الأنواع . فخلد ذكره وتقرر عند الطالبين المصنفين المستفيدين منها أنه يخلف مثله بعده .

ومضى إلى رحمة الله تعالى [٣٤٨] يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسماية . ودفن بظاهر قصبة طابران . والله تعالى يخصه بأنواع الكرامة فى آخرته ، كما خصه بقبول العلم فى دنياه — بمنّه . ولم يعقّب إلا البنات . وكان له من الأسباب — إرثاً وكسباً — مايقوم بكفايته ونفقة أهله وأولاده ؛ فما كان يباسط أحداً فى الأمور الدنيوية ، وقد عرضت عليه أموالٌ فما قَبِلها ، وأعرض عنها ، واكتفى بالقدر الذى يصون به دينه ، ولا يحتاج معه إلى التعرض لسؤال ومنالٍ من غيره .

ذكر أبو محمد بن الأكفانى أن الإمام أبا حامد الغزالى توفى فى جمادى الأولى سنة خمس وخمسماية بمدينة طوس .

— ١٠ —

من كتاب « المنتظم » فى التاريخ لأبى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ = سنة ١٢٠٠ م) نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ١٢٩٦ تاريخ حـ ٧ قسم ٢

[لوحة ٤٢٢]

ذكر أنه ولد سنة خمسين وأر بعماية وتفقه على أبى المعالى الجوينى ، و برع فى النظر فى مدة قريبة ، وقاوم الأقران وتوحد وصنف الكتب الحسان فى الأصول والفروع التى انفرد بحسن وصفها وترتيبها وتحقيق الكلام [٤٢٣] فيها حتى إنه صنف فى حياة أستاذه الجوينى . فنظر الجوينى فى كتابه المسمى بـ « المنخول » فقال له : « دفنتنى وأنا حىّ ! هلا صبرت حتى أموت ! » وأراد : إن كتابك قد غطى على كتابى .

ووقع له القبول من نظام الملك ، فرسم له التدريس بمدرسته ببغداد ، فدخل بغداد فى سنة أربع وثمانين ودرّس بها وحضره الأئمة الكبار كابن عُقيل وأبى الخطاب . وتعجّبوا من كلامه واعتقدوه فائدة ، ونقلوا كلامه فى مصنفاتهم .

ثم إنه ترك التدريس والرياسة ، ولبس الخام الغليظ ، ولازم الصوم . وكان لا يأكل إلاّ من أجرة النسخ .

وحجّ وعاد . ثم رحل إلى الشام ، وأقام ببيت المقدس ودمشق مدةً ، يطوف المشاهد . وأخذ فى تصنيف كتاب « الإحياء » فى القدس ، ثم أتمه بدمشق . إلا أنه وضعه على مذهب الصوفية ، وترك فيه قانون الفقه ، مثل أنه

ذكر فى محو الحياة ومجاهدة النفس أن رجلا أراد محو جاهه فدخل الحمام فلبس ثياب غيره ، ثم لبس ثيابه فوقها . ثم خرج يمشى على مهل حتى لحقوه فأخذوها منه ، وسمى سارق الحمام . وذكرُ مثل هذا على سبيل التعليم للمريدين قبيح ، لأن الفقه يحكم بقبح هذا . فإنه متى كان للحمام حافظ ، وسرق سارق قُطع ثم لايحل لمسلم أن يتعرّض بأن يأثم الناس به فى حقّه . — وذكر أن رجلا اشترى لحماً ، فرأى نفسه تستحى من حمله إلى بيته فعلقه فى عنقه ومشى ، وهذا فى غاية القبح . ومثله كثير ليس هذا موضعه . وقد جمعت أغلاط الكتاب وسميته « إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء » . وأشرت إلى بعض ذلك فى كتابى المسمى بـ « تلبيس إبليس » ، مثلما ذكر فى كتاب [1] النكاح أن عائشة قالت للنبى صلعم : أنت الذى تزعم أنك رسول الله ؟ ! — وهذا محال .

وإنما كان سبب إعراضه فيما وضعه عن مقتضى الفقه ، أنه صحب الصوفية فرأى حالتهم الغاية ، وقال إنى أخذت الطريقة من أبى على الفارَمْذى ، وامتثلت ما كان يشير به من وظائف العبادات واستدامة الذكر ، إلى أن جُزْتُ تلك العقبات وتكلفت تلك المشاق وما حصلت على ما كنت أطلبه . ثم إنه نظر فى كتاب أبى طالب المكىّ [2] وكلام المتصوفة القدماء ، فاجتذبه ذلك بمدّةٍ عما يوجبه الفقه .

وذكر فى كتاب « الإحياء » من الأحاديث الموضوعة ومالا يصحّ — غير قليل . وسبب ذلك قلة معرفته بالنقل . فليته عَرَض تلك الأحاديث على من يعرف ! وإنما نقل نَقْلَ حاطبِ ليل .

---

(١) حـ ٢ ص ٣٤ س ١١

(٢) «قوت القلوب» لأبى طالب المكى المتوفى سنة ٣٨٦ هـ/سنة ٩٩٦ م راجع GAL ١ : ٢٠٠

وكان قد صنّف للمستظهر كتاباً فى الرد على الباطنية [لوحة ٤٢٤] وذكر فى آخره مواعظ الخلفاء فقال : روى أن سليمان بن عبد الملك بعث إلى أبى حازم : ابعث إلىّ من إفطارك . فجاءت بعبد العزيز ؛ فلما بلغ وُلِد له عمر ابن عبد العزيز (+) . — وهذا من أقبح الأشياء ، لأن عمر ابن عم سليمان ، وهو الذى ولاّه ، فقد جعله ابن ابنه . فما هذا حديث من يعرف من النقل شيئاً أصلاً .

وكان بعض الناس شغف بكتاب « الإحياء » . فأعلمته بعيوبه ثم كتبته له فاسقطتُ ما يصلح إسقاطه وزِدْتُ ما يصلح أن يزاد .

ثم إن أبا حامد عاد إلى وطنه مشتغلاً بتعبُّده . فلما صارت الوزارة إلى نظام الملك أحضره وسمع كلام وألزمه بالخروج إلى نيسابور . فخرج ودرس ، ثم عاد إلى وطنه واتخذ فى جواره مدرسة ورباطاً للمتصوفة ، وبنى داراً حسنة وغرس فيها بستاناً وتشاغل بحفظ القرآن وسَمِع « الصّحاح » .

وسمعت إسماعيل بن على الموصلى الواعظ يحكى عن أبى منصور الرزاز (١) الفقيه قال : دخل أبو حامد بغداد فقوّمنا ملبوسه ومركوبه خمسماية دينار . فلما تزهّد وسافر عاد إلى بغداد فقوّمنا ملبوسه خمسة عشر قيراطاً (٢) .

وحدثنى بعض الفقهاء عن أبو شروان وكان قد وزر للخليفة أنه زار أباحامد الغزالى ، فقال له أبو حامد : « زمانك محسوب عليك وأنت كالمستأجر ، فتوفرك على ذلك أولى من زيارتى » . فخرج أبو شروان وهو يقول : لا إله إلاّ

(١) بالراء فى النص (٢) س : قيراط

(+) لم نجد هذه الحكاية فى كتاب «المستظهرى فى فضائح الباطنية» الذى نشره جولد تسيهر فى ليدن سنة ١٩١٦ ؛ ولكنا وجدناها فى « التبر المسبوك فى نصيحة الملوك » ص ١٧ (القاهرة سنة ١٩١٧) .

الله ! هذا الذى كان فى أول عمره يستزيدنى فَضْل تلقب فى ألقابه ، وكان يلبس الذهب والحرير ، فآل أمره إلى هذا الحال ! » .

توفى أبو حامد يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة من هذه السنة [أى سنة خمس وخمسماية] بطوس ، ودُفِن بها .

وسأله قبيل الموت بعضُ أصحابه : أوْصِنى ! — فقال : « عليك بالإخلاص ! » — فلم يزل يكررها حتى مات .

من « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزى (المتوفى سنة ٦٥٤ هـ = سنة ١٢٥٧ م) عن نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٥٥١ تاريخ (القسم الثالث) وهى عن نسخة باريس رقم ١٨٠٦ عربى .

[ورقة ٢٦٩ ا]

[ينقل ابن الجوزى هنا عن كتاب « المنتظم » لأبى الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى من قوله : « وتفقه على أبى المعالى الجوينى . . . » حتى قوله: « ... حتى مات » . ثم يقول :] .

[٢٧٠ ا] وقال أحمد بن محمد أخى أبى حامد : لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخى أبو حامد وصلى وقال : « علىّ بأكفانى ! » فأخذها وقبّلها وتركها على عينيه وقال : « سمعاً وطاعة للدخول على المَلِك » ! ثم مدّ رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار .

والغزالى هو القائل : « ويكره الاستجمار بورق المصحف » . هذا خلاصة ما ذكر أبو الفرج الجوزى رحمه الله .

وقال عبد الغافر ابن إسماعيل فى كتاب « ذيل نيسابور » : أبو حامد الغزالى حجة الإسلام لم تر العيون مثله لساناً ونطقاً وخاطراً وطبعاً وذكاء . قَدِم نيسابور مختلفاً إلى درس إمام الحرمين ، واجتهد وبذّ الأقران . وكان الطلبة فى أيام إمام الحرمين يستفيدون [٢٧٠ ب] منه ، وصنّف الكتب ، فكان

إمام الحرمين لا يُؤثِر ذلك لما لا يخفى من طباع البشر ؛ وإنما كان يظهر خلاف ذلك .

ثم خرج أبو حامد من نيسابور وقدم على نظام الملك ، فأقبل عليه أحسن قبول وأمره بالتدريس بالنظامية ببغداد . فدرس بها . وذكر تصانيفه . ثم تزهد وسلك طريق التأله وتَرَكَ الحشمةَ وحجّ ، وورد الشام وسكن المنارة الغربية من جامع دمشق ، وتمّم فيه « الإحياء » . ثم عاد إلى وطنه بعد أن أقام بالشام عشر سنين .

وقال ابن عساكر : قدم الشام سنة سبع[1] وثمانين . وكان إماماً فى الفقه مذهباً ، وخلافاً . وسمع صحيح البخارى ، وكانت وفاته فى جمادى الأولى بطوس ، وله من المصنفات : (١) البسيط (٢) والوسيط (٣) والوجيز (٤) وتهافت الفلاسفة (٥) والهداية (٦) وشرح أحوال الباطنية (٧) والمستصفى[2] فى أصول الفقه .

ويقال إنه صنف ثلاثين كتاباً . وذكره ابن السمعانى فى « الذيل » وقال من شعره :

حَلّت عقارب صدغه من خده ... قمراً يجـلُّ بها عن التشبيه
ولقـد عهدناه يحلُّ ببرجها ... ومن العجائب كيف حَلّت فيه !

(١) كذا . وصوابه : تسع .
(٢) ص : المستضىء .

— ١٢ —

من « البداية والنهاية » لابن كثير) توفى فى شعبان سنة ٧٧٤ هـ / فبراير سنة ١٣٧٣ م)

القسم الخامس من الجزء الثالث ، مصـــور بدار الكتب المصرية برقم ١١١٠ تاريخ

[لوحة ٨٠٣] .

سنة خمس وخمسماية

وممن توفى فيها من الأعيان

أبو حامد الغزالى .

محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالى . ولد سنة خمسين وأربعماية . وتفقه على إمام الحرمين ، وبرع فى علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة فى فنون متعددة . وكان من أذكياء العالم فى كل ما يُتكلم به . وساد فى شبيبته حتى إنه دَرّس بالنظامية ببغداد سنة أربع وثمانين وله أربع وثلاثون[1] سنة ، فحضر عنده رءوس العلماء فى ذلك الوقت ، فكان ممن حضر عنده ابن عقيل وأبو الخطاب من رءوس الحنابلة فتعجبوا من فصاحته واطلاعه . قال ابن الجوزى : وكتبوا كلامه فى مصنّفاتهم .

(١) س : وثمانون — وهو تحريف واضح .

ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على أعمال الآخرة فكان يرتزق من النسخ . ودخل إلى الشام فأقام بدمشق وبيت المقدس مدةً . ثم إنه صنف [٨٠٤] فى هذه المدة كتابه « إحياء علوم الدين » ، وهو كتاب يشتمل على أمور كثيرة من الشرعيات ، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب ، ولكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات ، ومنها ما هو موضوع كما يوجد فى غيره من كتب الفروع التى يستدل بها على الحرام والحلال ؛ فالكتاب الموضوع للرقائق والترهيب والترغيب أسهل أمراً من غيره . وقد شنّع عليه أبو الفرج بن ... ، ثم ابن الصلاح فى ذلك تشنيعاً كبيراً . ثم حكيت كلامه فى ترجمته من طبقات الشافعية » . وقد كان الغزالى يقول : « أنا مُزْجى البضاعة فى الحديث » . ويقال إنه مال فى آخر عمره إلى سماع الأحاديث والتحفظ للصحيحين .

وقد صنّف ابن الجوزى كتاباً على « الإحياء » سمّاه : « إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء » .

قال ابن الجوزى : ثم ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور ، فدرّس بنظاميتها ، ثم عاد إلى بلده طوس وابتنى رباطاً واتخذ داراً حسنة وغرس فيها بستاناً أنيقاً ، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصِّحاح .

وكانت وفاته يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة . ودُفِن بطوس ، رحمه الله . وقد سأله بعض أصحابه — وهو فى « السِّياق[1] » — فقال : أوصنى ! فقال له : عليك بالإخلاص فلم يزل يكررها حتى مات .

(١) أى كتاب « السياق لتاريخ نيسابور » لعبد الغافر الفارسى (راجع طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ج ٤ ص ٢٥٥ س ٣ من أسفل) .

— ١٣ —

من عقد « الجمان » للعينى (بدر الدين العينى المتوفى سنة ٨٥٥ هـ = ١٤٥١ م)
نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ

الغزالى

[لوحة ٦٦٥]

أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالى ، الملقب « حجة الإسلام » « زين الدين » الطوسى ، الفقيه الشافعى . لم يكن للطائفة الشافعية فى آخر عصره [٦٦٦] مثله .

اشتغل فى مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكانى . ثم قدم نيسابور واختلف إلى درس إمام الحرمين[١] . وجدّ فى الاشتغال حتى تخرج فى مدة قريبة وصار من الأعيان المشار إليهم فى زمن أستاذه ، وصنّف فى ذلك الوقت ، ولم يزل ملازماً < له > إلى أن مات فى التاريخ[٢] المذكور فى ترجمته .

فخرج من نيسابور إلى العسكر ، ولقى نظام الملك فأكرمه وعظّمه وبالغ فى الإقبال عليه . وكان يحضر الوزير جماعة من الأفاضل ، وجرى بينهم الجدال والبحث والمناظرة فى عدة مجالس ، وظهر عليهم واشتهر اسمه وسارت باسمه الركبان . ثم فوّض إليه الوزير تدريس النظامية ببغداد ، فجاءها وباشر إلقاء الدروس بها ، وذلك فى جمادى الأولى من سنة أربع وثمانين وأربعماية . وأعجب به أهل العراق ، وارتفعت عندهم منزلته .

(١) س : امام الامام ! (٢) تاريخ .

ثم ترك جميع ما كان عليه فى ذى القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعماية ، وسلك طريق التزهد والانقطاع . وقصد الحجّ . فلما رجع توجّه إلى الشام ، فأقام بدمشق مدةً يذكر الدروس فى زاوية الجامع فى الجانب الغربى منه ، انتقل منها إلى بيت القدس ، واجتهد فى العبادة . ثم قصـــد مصر وأقام بالإسكندرية مدةً ، ويقال إنه قصد الركوب منها فى البحر إلى بلاد المغرب على عزم الاجتماع بالأمير يوسف بك[١] بن تاشفين ، صاحب مراكش . فبينما هو كذلك إذا بلغ إليه نعىُ يوسف المذكور ، فصرف عزمه عن تلك الناحيه .

ثم عاد إلى وطنه بطوس واشتغل بنفسه ، وصنّف الكتب المفيدة فى عدّة فنون ، منها ما هو أشهرها :

(١) الوسيط (٢) والبسيط (٣) و الوجيز (٤) والخلاصة فى الفقه [٦٦٧] . ومنها :

(٥) « إحياء العلوم » وهو من أنفس الكتب وأجلّها .

وله فى أصول الفقه :

(٦) المصفّى[٢] . (٧) والمنخول (٨) والمنتحل فى علم الجدل .

وله :

(٩) تهافت[٣] الفلاسفة (١٠) ومحكّ[٤] النظر (١١) ومعيار العلم — وغير ذلك .

ثم ألزم بالعود إلى نيسابور بالمدرسة النظامية . فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودة ؛ ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته فى وطنه . واتخذ[٥] خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم فى جواره . ووزع أوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب ، والقعود للتدريس — إلى أن انتقل إلى ربّه الكريم .

(١) كذا فى الأصل ! (٢) كذا وهو تحريف قطعاً . (٣) س : بها فقه !
(٤) كذا باللام ، وهو تحريف لأن الناسخ مهمل . (٥) محرفه فى الأصل .

ويروى له شعر . فمن ذلك ماينسبه إليه الحافظ أبو سعد السمعانى فى الذيل.

وحلتْ عقاربُ صدغه فى خده قمراً يجلُّ بها التشبيه
ولقد عهدناه يَحُلُّ بروجها فمن العجائب كيف حلّت فيه

وذكر ابن الجوزى فى « منتظمه » وقال : صنف الكتب الحسان[1] ...

وزدت ما يصلح أن يزاد ، انتهى كلام ابن الجوزى .

وقال ابن كثير(*):« وكتاب الإحياء كتاب عجيب يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات ، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب ، ولكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات ، ومنها ماهو موضوع كما يوجد فى غيره من كتب الفروع التى يستدل بها على الحلال والحرام . فالكتب الموضوعة للدقائق والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره فى هذا . وقد شنع عليه ابن الجوزى ثم ابن الصلاح فى ذلك تشنيعاً كثيراً . وقد كان الغزالى يقول : أنا مُزْجَى البضاعة فى الحديث ويقال إنه مال فى آخر عمره إلى سماع الحديث والحفظ للصحيحين[2] ...

وحكى أخوه أحمد قال : لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخى أبو حامد وصلى وقال : « علىّ بأكفانى ! » — فأخذها وقبّلها وتركها على عينيه وقال : « سمعاً وطاعة للدخول على المَلِك ! » ثم مدّ رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار .

ولبعضهم فيه شعر يذكر فضائله وبعض تصانيفه فى الفقه والمذهب وهو شاب :

شيد المذهب حبر أحسن الله خلاصه
بـ « بسيط » و « وسيط » و « وجيز » و « خلاصه »

(١) لم نثبت ما أورده لأننا أوردناه من قبل . فى الملحق رقم ١٠ .
(٢) ثم ينقل عبارتين عن « مرآة » ابن الجوزى وعن ابن خلكان .
(*) توفى أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير فى شعبان سنة ٧٧٤ هـ (= فبراير سنة ١٣٧٣) .

من « الكواكب الدرّية فى تراجم السادة الصوفية » لعبد الرءوف المناوى مخطوط رقم ٢٥٩ تاريخ بدار الكتب المصرية .

محمد بن محمد الطوسى الإمام أبو حامد الغزالى

... [٢٢٣ ا] وله تصانيف عظيمة فى غالب الفنون ، حتى فى علم الحروف وأسرار الروحانيات وخواص [٢٢٣ ب] الأعداد ولطائف الأسماء الإلهية ، وفى السيمياء وغيرها . وله دعاء عجيب الشأن جرّبه أهل العرفان عند حلول الفاتحة . وقد ذكره فى « الإحياء » وهو :

اللهم يا غنىّ يا حميد يا مبدى يا معيد يا رحيم يا ودود ، أغننى بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ...

مات الإمام الغزالى عن خمس وخمسين سنة . قال النووى فى « بستانه » عن شيخه التقليبى وقال : أحصيت كتب الغزالى التى صنفها ووزّعت على عمره فخص كل يوم أربعة كراريس .

قال بعضهم : ورُئى فى النوم ، فسئل عن حاله فقال : لولا هذا العلم الغريب لكنا على خير كثير . قال ابن عربى : فتأوّلها علماء الرسوم على ما كان عليه من علم هذا الطريق ، وقصد إبليس بهذا الطريق الذى زيّنه لهم أن يعرضوا هذا الطريق ، أتراه أمر بأن يطلب الحجاب عن الله والبعد عنه والصفة [٢٢٤ ا] الناقصة عن درجة الكمال ، هذا إذا لم يكن لإبليس دخلٌ فى الرؤيا وكانت

مَلَكية ؛ وإذا كانت الرؤيا من الله فالرأى فى غير موطن الحسّ والمرئى ميت فهو عند الحىّ لا فى موطن الحسّ والعلم الذى كان عرض عليه أبو حامد فى أسرار العبادة وغيرها ما هو غريب عن ذلك الموت الذى الإنسان فيه بعد الموت بل تلك حضرته وذلك محلّه ، فلم يبق العلم الغريب من ذلك الموطن إلا ما كان يشتغل به فى الدنيا من علم الطلاق والنكاح والمبايعة ونحو ذلك ، وعلوم الأحكام المتعلقة بالدنيا ليس للآخرة تعلُّقٌ بها ألبتة فإنه بالموت يفارقها ، فهذه العلوم الغريبة عن موطن الآخرة ؛ — وكالهندسة والهيئة : ما لا نفع < فيها > إلا فى الدنيا ، وإن كان فيها أجر من حيث نيته فالخير الراجح إليه منها قصده ونيّته لا عين العلم فإنه يتبع معلومه ، ومعلومه فى الدنيا لا فى الآخرة فكأنه يقول فى رؤياه : لو اشتغلنا ، وقال : شغلنا بهذا الغريب عن هذا الوطن بالعلم الذى يليق به ويطلبه هذا الموضع — كنا على خير كثير . ولو كان علمه بأسرار العبادة وما يتعلق بالجناب الأخروى لم يكن غريباً لأنه موطنه ، والغربة إنما هى لفراق الوطن . فإياك أن تحجب عن طلب العلوم الإلهية والأخروية ، وخذ من العلوم الشريفة بقدر ما تمس الحاجة إليه ، وقل رب زدنى علماً .

— ١٥ —

من « الوافى بالوفيات » لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى (المتوفى سنة ٩٦٤ هـ/١٣٦٣ م)، نشره رتر فى استانبول سنة ١٩٣١ الجزء الأول ص ٢٧٤ :

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد

حجة الإسلام زين الدين أبو حامد الطوسى الفقيه الشافعى . لم يكن فى آخر عصره مثله . اشتغل فى مبدأ أمره بطوس على أحمد الراذكانى . ثم قدم نيسابور ، واختلف إلى دروس إمام الحرمين ، وجدّ فى الاشتغال حتى تخرج فى مدة قريبة وصار من الأعيان فى زمن أستاذه ، وصنّف . ولم يزل يلازمه إلى حين وفاته [٢٧٥] فخرج إلى العسكر ، ولقى نظام الملك فأكرمه وعظّمه ؛ وكان بحضرة الوزير جماعة من الفضلاء فناظروه وظهر عليهم واشتهر اسمه وسار يذكره الركبان .

فسار به من لا يسير مشمِّراً وغنّى به مَنْ لا يغنّى مغرّدا

وفوّض إليه الوزير تدريس النظامية ، وعظمت حشمته ببغداد حتى عَلَتْ على الأمراء والكبار ، وأعجب به أهلُ العراق . ثم إنه ترك جميع ما كان فيه فى ذى القعدة سنه ثمان وثمانين وأربع مائة ، وسلك طريق التزهد والانقطاع ، وحجّ فلما رجع توجه إلى الشام ، فأقام فى مدينة دمشق مدةً يذكر الدروس فى زاوية الجامع المعروفة الآن [به] فى الجانب الغربى . — ثم توجه إلى القدس ، واجتهد فى العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظّمة . ثم قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدةً ، ويقال إنه عزم منها على ركوب البحر للاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين

صاحب مراكُش لما بانه منه فى محبة أهل العلم والإقبال عليهم . فبلغه نعيُ المذكور ، فعاد إلى وطنه بطوس ، وصنّف بها كتباً نافعةً . ثم عاد إلى نيسابور ، وأُلزِم بتدريس النظامية بعد معاودات . ثم ترك ذلك وأقام بوطنه ، واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم فى جواره ، ووزّع أوقاته على وظائف الخير : من ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب .

*

وأما مصنّفاته فمنها (١) « كتاب إحياء علوم الدين » وهو مِنْ أجلّ الكتب وأعظمها ، حتى قيل فيه : لو ذهبت كتب الإسلام و بقى الإحيا ، لأغنى عما ذهب . وأول ما دخل إلى الغرب أنكروا فيه أشياء ، وصنفوا عليه « الإملاء فى الرد على الإحياء » . قال الشيخ جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزى : قد جمعتُ أغلاط الكتاب وسمّيته : « إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء » وأشرت إلى بعض ذلك فى كتابى « تلبيس إبليس » . وقال سبطه أبو المظفر : وضعه على مذاهب الصوفية ، وترك فيه قانون الفقه ، كما ذكر فى مجاهدة النفس أن رجلاً أراد نحوَ جاهه فدخل الحمّام فلبس ثياب غيره ثم لبس ثيابه فوقها ، وخرج يمشى على مهل حتى لحقوه فأخذوها منه ، فسمّى سارق الحمّام . وذكرَ مِثْلَ هذا على سبيل التعليم [٢٧٦] للمريدين . وهذا قبيح ، لأنه متى كان للحمام حافظ وسرق منه سارقٌ قُطِع . ثم لا يحل لمسلم أن يتعرض لأمرٍ يؤثم الناس به فى حقّه . وذكر أ رجلاً اشترى لحماً ، فرأى فى نفسه أنه يستحيى من حمله إلى بيته ، فعلّقه فى ع - وهذا فى غاية القبح ، ومثله كثير - انتهى . وأنكروا عليه ما فيه من الأحاديث التى لم تصحّ . ومثل هذا يجوز فى الترغيب والترهيب . والكتاب فى غاية النفاسة وكان الإمام فخر الدين يقول : كأن الله جمع العلوم فى قبّة وأطلع الغزالى عليها ، أو كما قال .

ومن مصنفاته : (٢) « البسيط » (٣) و « الوسيط » — وهو عديم النظير فى بابه من حُسْن ترتيبه وتهذيبه ، وعليه العمدة الآن فى إلقاء الدروس . — (٤) و « الوجيز » (٥) و « الخلاصة » — هذه الأربع فى الفقه ، قال بعضهم فيها :

هـــذّب المذهب حبرٌ أحسن اللهُ خَلاصه

بـ « بسيط » و « وسيط » و « وجيز » و « خلاصه »

ويقال إنه قيل له ماعملت شيئاً : أخذت الفقه من كلام شيخك فى « نهاية المطلب » ، والتسمية لكتبك من الواحدى . ويقال إن « نهاية المطلب » لإمام الحرمين كانت زُبَر حديد فجعلها الغزالى زُبَرَ خشب .

ومن مصنفاته :

(٦) « المستصفى فى أصول الفقه »
(٧) و « المنخول »
(٨) و « اللباب »
(٩) و « بداية الهداية »
(١٠) و « كيمياء السعادة »
(١١) و « المآخذ »
(١٢) و « التحصين »
(١٣) و « المعتقد »
(١٤) و « إلجام العوام »
(١٥) و « الرد على الباطنية »
(١٦) و « مقاصد الفلاسفة »
(١٧) و « تهافت الفلاسفة »
(١٨) و « جواهر القرآن »
(١٩) و « الغاية القصوى »
(٢٠) و « فضائح الإباحية »
(٢١) و « غور الدور »
(٢٢) و « المنتخل فى علم الجدل »
(٢٣) و « معيار العلم »
(٢٤) و « المضنون به على غير أهله »
(٢٥) و « شرح الأسماء الحسنى »
(٢٦) و « مشكاة الأنوار »
(٢٧) و « المنقذ من الضلال »
(٢٨) و « القسطاس المستقيم »
(٢٩) و « حقيقة القولين »

وأورد ابن السمعانى من نظمه قوله :

حلّت عقاربُ صدغه من وجهه ... قمراً فجلّ به عن التشبيه

ولقد عهدناه يحلُّ ببرجها ... ومن العجائب كيف حلّت فيه

[٢٧٧] وأورد له العماد الكاتب فى « الخريدة » قوله :

هبنى صبوتُ — كما ترون بزعمكم ... وحظيت منه بلثم خدٍّ أزهر

إنى « اعتزلتُ » فلا تلوموا ، إنه ... أضحى يقابلنى بوجه « أشمرى »

وأورد له ابن النجار :

فقهاؤنا كذبالة النبراس ... هى فى الحريق وضوءها للناس

خبر ذميم تحت رائق منظر ... كالفضّة البيضاء تحت نُحاس

وكانت ولادته فى سنة خمسين وأربع ماية ؛ وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران . وتوفى يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمس ماية بالطابران . ورثاه أبو المظفر محمد الأبيوردى بأبيات فائية منها :

مضى ، وأعظم مفقودٍ فجعت به ... مَنْ لا نظير له فى الناس يخلفه

وتمثل الإمام إسماعيل الحاكى بعد وفاته بقول أبى تمام الطائى :

عجبت لصبرى بعده وهو ميّت ... وكنت امرءاً أبكى دماً وهو غائب

على أنها الأيامُ قد صرن كلها ... عجائب حتى ليس فيها عجائب

ودفن بالطابران ، وهى قصبة طوس . وقيل إنه قال فى بعض مصنّفاته : ونسبنى قومٌ إلى « الغزّال » ، وإنما أن الغَزَالِى نسبة إلى قرية يقال لها « غزالة » بتخفيف الزاى والله أعلم .

من المجلد الثانى عشر من سير النبلاء لشمس الدين أبى عبدالله أحمد بن عثمان الذهبى (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ) مصوّر بدار الكتب المصرية برقم ١٢١٩٥ ح .

[لوحة ٧٤ ب]

الغَزّالىُّ

الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام أعجوبة الزمان زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى الشافعى الغزّالى ، صاحب التصانيف والذكاء المفرط .

تفقه ببلده أوّلًا ، ثم تحول إلى نيسابور فى مرافقة جماعة من الطلبة ، فلازم إمام الحرمين ، فبرع فى الفقه فى مدة قريبة ، ومهر فى الكلام والجدل حتى صار عين المناظرين ، وأعاد[1] للطلبة . وشرع فى التصنيف ، فما أعجب ذلك شيخَه أبا المعالى ولكنه مُظْهر للتبجُّح به .

ثم سار أبو حامد إلى الخيَّم السلطانى ، فأقبل عليه نظام الملك الوزير ، وسُرَّ بوجوده ، وناظر الكبار بحضرته ، فانبهر له وشاع أمره ، فولاه النِّظام[2] تدريس نظاميّة بغداذ[3] ، فقدمها بعد الثمانين وأربعماية ، وسنّه نحو الثلاثين . وأخذ فى تأليف الأصول والفقه والكلام والحكمة . وأدخله سيلان ذهنه فى مضايق الكلام ومزالّ الأقدام ، ولله سرٌّ فى خلقه .

---

(١) أى كان « يعيد » دروس الأستاذ للطلبة ، أى كان « سيداً » .
(٢) أى نظام الملك .
(٣) بالذال المعجمة .

وعظم جاه الرجل وازدادت حشمته بحيث أنه فى دست أمير وفى رتبة رئيس كبير . فأدّاه نظره فى العلوم وممارسته لأقانين الزهديات إلى رفض الرئاسة ، والإنابة إلى دار الخلود والتألّه والإخلاص وإصلاح النفس . فحجّ من وقته ، وزار بيت المقدس ، وصحب الفقيه نصر بن إبراهيم بدمشق ، وأقام مدةً وألّف كتاب « الإحياء » و « كتاب الأربعين » ، و « كتاب القسطاس » وكتاب « محك النظر » .

وراض نفسه وجاهدها ، وطرد شيطان الرعونة ، ولبس زىّ الأتقياء .

ثم بعد سنواتٍ سار إلى وطنه لازماً لسُنَنه [١٧٥] حافظاً لوقته ، مكبًّا على العلم .

ولمّا وزر فخر الملك حضر أبا حامد ، والتمس منه أن لاتبقى أنفاسُه عقيمةً ، وألحّ على الشيخ إلى أن لان إلى القدوم إلى نيسابور ، فدرّس بنظاميتها .

فذكر هذا وأضافه عبد الغافر فى « السياق » — إلى أن قال : ولقد زرته مراراً ، وما كنت أحدس فى نفسى — مع ماعهدته عليه من الزعارة والنظر إلى الناس بعين الاستخفاف ، كِبْراً وخُيلاء واعتزازاً بما رُزِق من البسطة والنطق والذهن وطلب العلو — أنه صار على الضدّ ، وتصفى عن تلك الكدورات . وكنت أظنه متلفعاً بجلباب التكلّف ، متقمّصاً بما صار إليه ، فتحققت بعد السَّبْر والتنقير أن الأمر على خلاف المظنون وأن الرجل أفاق بعد الجنون ، وحكى لنا فى ليال كيفية أحواله من ابتداء ما أظهر له طريقُ التألّه وغلبة الحال بعد تبحُّره فى العلوم واستطالته على الكل بكلامه والاستعداد الذى خصّه الله به فى تحصيل أنواع العلوم وتمكنه من البحث والنظر ، حتى تبرّم بالاشتغال بالعلوم العربيّة عن المعاملة ، وتفكّر فى العاقبة وما تبقى فى الآخرة . فابتدأ بصحبة الشيخ

أبى على الفارَمذى ، فأخذ منه استفتاح الطريقة ، وامتثل ما كان يأمره به من العبادات والنوافل والأذكار والاجتهاد طلباً للنجاة . إلى أن جاز تلك العقاب وتكلّف تلك المشاقّ ، وما حصل على ما كان يرومه .

« ثم حكى أنه راجع العلوم وخاض فى الفنون الدقيقة والتقى بأربابها حتى تفتّحت له أبوابها و بقى مدةً فى الوقائع وتكافؤ الأدِلّة ، وفتح عليه بابٌ من الخوف بحيث شغله عن كل شىء وحمله على الإعراض عما سواه ، حتى سهُل ذلك عليه ، إلى أن ارتاض وظهرت له الحقائق وصار ما كنا نظن به ناموساً وتخلقاً — طبعاً ومحققاً ، وأن ذلك أثر السعادة المقدّرة .

ثم سألناه عن كيفية رغبته فى الخروج من بيته والرجوع إلى ما دُعِىَ إليه ، فقال معتذراً : « ما كنت أجوّز فى دينى أن أقف عن الدعوة ومنفعة الطالبين . وقد حقّ[1] علىّ أن أبوح بالحق وأنطق به وأدعو إليه . » وكان صادقاً فى ذلك فلما خف أمر الوزير ، وعلم أن وقوفه على ما كان — فيه ظهور وحشة وخيالُ طلب جاه — ترك ذلك قبل أن يُترك[2] ؛ وعاد إلى بيته ، واتخذ فى جواره مدرسة للطلبة وخانقاه [٧٥ ب] للصوفية ، ووزع أوقاته على وظائف الحاضرين : من ختم القرآن ومجالسة ذوى القلوب والقعود للتدريس حتى توفى بعد مقاساة لأنواعٍ من القصد والمناوأة من الخصوم والسعى فيه إلى الملوك وحفظ الله له عن نَوْش أيدى النكبات » إلى أن قال : « وكانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين ، ولو عاش لسبق الكل فى ذلك الفن بيسير من الأيام . » قال : « ولم يتفق له أن يَرْوِى ؛ ولم يُعْقِب إلاّ البنات . وكان له من الأسباب — إرثاً وكسباً — مما يقوم بكفايته . وقد عُرِضت عليه

(١) ص : خف

(٢) مشكولة بضم أولها فى المخطوط

أموالٌ فما قبلها » . قال : « ومما كان يُعترض به عليه وقوع خللٍ من جهة النحو فى أثناء كلامه . وروجع فيه فأنصف واعترف أنه ما مارسه ، واكتفى بما كان يحتاج إليه فى كلامه مع أنه كان يؤلف الخطب ويشرح الكتب بالعبارة التى يعجز الأدباء والفصحاء عن أمثالها . ومما نُقِم عليه ما ذكر من الألفاظ المستبشعة بالفارسية فى كتاب « كيميا السعادة والعلوم » ، وشرح بعض الصُّوَر والمسائل بحيث لا توافق مراسم الشرع وظواهر ما عليه قواعد الملّة . وكان الأولى به — والحق أحقُّ ما يقال — تركه ذلك التصنيف والإعراض عن الشرح له ، فإن العوام ربما لا يحكمون أصول القواعد بالبراهين والحجج . فإذا سمعوا شيئاً من ذلك تحيّلوا منه ما هو المضرُّ بعقائدهم ، وينسبون ذلك إلى بيان مذهب الأوائل . على أن المصنّف اللبيب إذا رجع إلى نفسه علم أن أكثر ما ذكره مما رمز إليه إشاراتُ الشرع وإن لم يَبُحْ به . ويوجد أمثاله فى كلام مشايخ الطريقة مرموزةً ومصرّحاً بها متفرقة . وليس لفظ منهم إلاّ وكما يشعر سائر وجوهه بما يوافق عقائد أهل الملّة ، فلا يجب حمله إذن إلاّ على ما يوافق ولا ينبغى التعلّق به فى الرد عليه إذا أمكن ؛ وكان الأولى به أن يترك الإفصاح بذلك . وقد سمعت أنه سمع سُنَن داوود[1] من القاضى أبى الفتح الحاكمى الطوسى ؛ وسمع من محمد بن أحمد الحوارى والد عبد الجبار كتاب المولد لابن أبى عاصم بسماعه من أبى بكر بن الحارث عن أبى الشيخ عنه » .

قلتُ[2] : ماتقمه عبد الغافر على أبى حامد فى الكيمياء فله أمثاله فى غضون تواليفه ، حتى قال أبو بكر بن العربى : شيخنا أبو حامد بَلَع الفلاسفة ، وأراد أن يتقيأهم [١٧٦] فما استطاع .

(١) فى النص باختصار : سنن د . (٢) أى الذهبى .

ومن معجم أبى على الصوفى تأليف القاضى عياض له قال : « والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة والتصانيف العظيمة . غلا فى طريقة التصوف ، وتجرّد لنصر مذهبهم ، وصار داعية فى ذلك ، وألّف فيه تواليف مشهورة ، أُخِذ عليه فيها مواضع ، وساءت به ظنونُ أمّةٍ ، والله أعلم بسرّه . ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها . فامتُثِل ذلك . مولده سنة خمسين وأربعمائة » . — قلت : مازال العلماء يختلفون ، ويتكلم العالِمُ فى العالِمِ باجتهاده ، وكلٌّ منهم معذورٌ مأجور ، ومَنْ عاند وخَرَق الإجماع فهو مأزور ، وإلى الله تُرْجَع الأمور .

لأبى المظفر يوسف ، سبط ابن الجوزى ، فى كتاب « رياض الأفهام فى مناقب أهل البيت » ، قال : « ذكر أبو حامد فى كتابه « سرّ العالمين وكشف ما فى الدارين » فقال فى حديث : من كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه — أن عمر قال لعلى . بخٍ بخٍ ! أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ! قال أبو حامد : وهذا تسليم ورضا . ثم بعد هذا غلب عليه الهوى حبًّا للرياسة وعَقْد البنود وأمر الخلافة ونهيها ، فحملهم على الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون — وسرد كثيراً من هذا الكلام الفَشل الذى تزعمه الإمامية . وما أدرى ما عذره فى هذا . والظاهر أنه رَجَع عنه وتبع الحقّ ، فإن الرجل من بحور العلم ، والله أعلم . هذا إن لم يكن هذا وُضِع . هذا وما ذاك ببعيد ، ففى هذا التأليف بلايا تطيب . وقال فى أوله : إنه قرأه عليه محمد بن تومرت المغربى سرًّا بالنظامية . قال : وتوسمتُ فيه المُلْك .

قلت : قد ألف الرجل فى ذم الفلاسفة كتاب « التهافت » ، وكشف عَوارهم ، ووافقهم فى مواضع ، ظنًّا منه أن ذلك حق أو موافق للمسألة . ولم يكن

له علمٌ بالآثار ، ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل . وحُبّب إليه إدمان النظر فى كتاب « رسائل إخوان الصفا » ، وهو دا عضال وجَرَبٌ مُرْدٍ وسُمّ قتّال ؛ ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء وخيار المخلصين لتلف. فالحذار الحذار من هذه الكتب ! واهربوا بدينكم من شُبَه الأوائل ، وإلّا وقعتم فى الحيرة فمن رام النجاة والفوز فليلزم العبودية ، وليُدْمِنْ الاستغاثة بالله ، وليبتهل إلى مولاه فى الثبات على الإسلام [٦٧ب] وأن يُتوفّى على إيمان الصحابة وسادة التابعين ؛ والله الموفّق ، فبحسن قَصْدِ العالم ينفر له وينجو إن شاء الله .

وقال أبو عمرو ابن الصلاح : فصل لبيان أشياء مهمّة أنكرت على أبى حامد : فى تواليفه أشياء لم يرتَضِها أهلُ مذهبه ، من الشذوذ . منها قوله فى المنطق : هو مقدّمة العلوم كلها ، ومن لا يحيط به فلا ثقة له بمعلوم أصلاً . — قال : فهذا مردود ، إذ كل صحيح الذهن منطقىٌّ بالطبع . وكم من إمام ما رفع بالمنطق رأساً !

« فأما كتاب المضنون[1] به على غير أهله » فمعاذَ الله أن يكون له ! شاهدتُ على نسخة به بخط القاضى كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزورى أنه موضوعٌ على الغزالى ، وأنه مختزع من كتاب « مقاصد الفلاسفة » وقد نقضه الرجل بكتاب « التهافت » .

وقال أحمد بن صالح الجيلى فى تاريخه : أبو حامد ، لقب بالغزّالى ، برع فى الفقه ، وكان له ذكاء وفطنة وتصرف ، وقدرة على إنشاء الكلام وتأليف المعانى . ودخل فى علوم الأوائل — إلى أن قال : وغلب عليه استعمال عباراتهم فى كتبه ، واستدعى لتدريس النظامية ببغداد فى سنة أربع وثمانين وبقى إلى أن غلبت عليه الخلوة ، وترك التدريس ، ولبس الثياب الخشنة ، وتقلّل فى مطعومه ، —

(١) بالفاء فى النص .

إلى أن قال : وجاور بالقدس . وشرع فى « الإحياء » هناك ، أعنى بدمشق ؛ وحجّ وزار ورجع إلى بغداد وسُمع منه كتابه « الإحياء » وغيره . فقد حدّث بها إذاً . ثم سرد تصانيفه .

وقد رأيت كتاب « الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء » للمازرى ، أوله : « الحمد لله الذى أنار الحق وأدلّه ، وأبار الباطل وأزلّه » . ثم أورد المازرى أشياء مما نقده على أبى حامد ، يقول : ولقد أعجب من قومٍ مالكية يرون مالكاً الإمام يهرب من التجديد ويجانب أن يرسم رسماً ، وإن كان فيه أثر ما أو قياس ما ، تورّعاً وتحفظاً من الفتوى فيما يحمل الناس عليه ، ثم يستحسنون من رجلٍ فتاوى مَبْناها على ما لا حقيقة له ، وفيه كثير من الآثار عن النبى — صلى الله عليه وسلم — لفّق فيه الثابت بغير الثابت ، وكذا ما أورد عن السَّلَف لا يمكن ثبوته كله . وأورد من نزغات الأولياء ونفثات الأصفياء ما يجلّ موقعه ، لكن مزج فيه النافع بالضار ، كإطلاقات يحكيها عن بعضهم لا يجوز إطلاقها لشناعتها ، وإن أخذت معانيها على ظواهرها كانت كالرموز إلى قدح الملحدين ، ولا تنصرف معانيها إلى[1] [١٧٨] الحق إلّا بتعسّف على اللفظ مما لا يتكلف العلماء مثله إلّا فى كلام صاحب الشرع الذى اضطرت المعجزات الدالّة على صدقه المانعة من جهله وكذبه إلى طلب التأويل ، كقوله إن القلب بين إصبعين من أصابع الرحمٰن ، وإن السموات على إصبع ؛ وكقوله : لأحرقت سُبُحات وجهه ؛ وكقوله : يضحك الله — إلى غير ذلك من الأحاديث الوارد ظاهرها بما أحاله العقل . إلى أن قال : فإذا كانت العصمة غير مقطوع بها فى حق الولىّ ، فلا وجه لإضافة ما لا يجوز إطلاقه إليه ، إلا أن يثبت وتدعو ضرورة

(١) هنا وقع تبديل فى ترتيب الصور .

إلى نقله فيتاوّل . — إلى أن قال : ألا ترى لو أن مصنّفاً أخذ يحكى عن بعض الحشوية مذهبه فى قدم الصوت والحرف وقدم الورق لما حَسُن به أن يقول : قال بعض المحققين إن القارىء إذا قرأ كتاب الله عاد القارىء فى نفسه قديماً بعد أن كان مُحدثاً ، أو : قال بعض الحذّاق إن الله محلٌّ للحوادث إذا أخذ فى حكاية مذاهب الكرّامية .

وقال قاضى الجماعة أبو عبدالله محمد بن حمدين القرطبى : « إن بعض من يعظ ممن كان ينتحل رسم الفقه ثم تبرّأ منه شغفاً بالشرعة الغزالية والنحلة الصوفية ، أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصّب لكتاب أبى حامد إمام بدعتهم . فأين هو من شُنَع مناكيره ، ومضاليل أساطيره المباينة للدين ! وزعم أن هذا من علم المعاملة المفضى إلى علم المكاشفة الواقع بهم على سرّ الربوبية الذى لا يسفر عن قِناعِه ولا يفوز باطّلاعه إلّا مَنْ تمطّى إليه ثبج ضلالته التى رفع لهم أعلامها وشرع أحكامها . قال أبو حامد : وأدنى النصيب من هذا العلم التصديقُ به ، وأقل عقوبته أن لا يُرزق المنكر منه شيئاً ، فاعرِضْ قوله على قوله ، ولا تشتغل بقراءة قرآن ولا بكتب حديث ، لأن ذلك يقطعه عن الوصول إلى إدخال رأسه فى كم جُبّته والتدثر بكسائه ، فيسمع نداء الحق ، فهو يقول : ذروا ما كان السَلَفُ عليه ، وبادروا ما آمركم به » . — ثم إن هذا القاضى أقذع وسبّ وكفّر وأسرف ، فنعوذ بالله من الهوى .

وقال أبو حامد : وصدور الأحرار قبور الأسرار ، ومَنْ أفشى سرّ الربوبية كفر . ورأى قَتْلَ مِثْل الحلّاج خيراً من إحياء عشرة ، لإطلاقه ألفاظاً . ونقل عن بعضهم قال : للربوبية سرّ ، لو ظهر لبطلت النبوّة ؛ وللنبوة سرٌّ ، لو كشف لبطل العلم ؛ وللعلم سرٌّ لو كشف [٧٨ب] لبطلت الأحكام .

قلت : سرّ العلم قد كُشِف لصوفية أشقياء ، فخلّوا النظام وبَطّل لديهم الحلال والحرام .

قال ابن حمدين : ثم قال الغزالى : والقائل بهذا إن لم يرد إبطال النبوّة فى حق الضعفاء فما قال ليس بحق ، فإن الصحيح لا يتناقض ، وإن الكامل من لا يطفىء نورُ معرفته نورَ ورعه .

وقال الغزالى فى العارف : فيتجلى له أنوار الحق وتنكشف له العلوم المرموزة المحجوبة عن الخلق ، فيعرف معنى النبوّة وجميع ما وردت به ألفاظ الشريعة التى نحن منها على ظاهرٍ لا على حقيقة .

وقال عن بعضهم : إذا رأيته فى البداية قلت صِدّيقا ، وإذا رأيته فى النهاية قلت زنديقاً . ثم فسّره الغزالى فقال : إذْ اسم الزنديق لا يُلصق إلّا بمعطّل الفرائض ، لا بمعطل النوافل .

وقال : وذهبت الصوفية إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية ، فيجلس فارغ القلب مجموع الهم يقول : الله ، الله ، الله ! على الدوام . فليفرغ قلبه ولا يشتغل بتلاوة ولا كُتُب حديث . قال : فإذا بلغ هذا الحد التزم الخلوة فى بيت مظلم وتدثر بكسائه ، فحينئذ يسمع نداء الحق : يا أيها المدثر ! و يأيها المزمّل !

قلت : سيّد الخلق إنما يسمع يأيها المدثر من جبريل عن الله . وهذا الأحمق لم يسمع نداء الحق أبداً ، بل سمع شيطاناً أو شيئاً ، لا حقيقة ، من طيش دماغه . والتوفيق فى الاعتصام بالسُّنة والإجماع .

قال أبو بكر الطرطوشى : شحن أبو حامد « الإحياء » بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض أكثر كذباً منه .

ثم شبّكه بمذاهب الفلاسفة ومعانى « رسائل إخوان الصفا » وهم قومٌ يرون النبوة مكتسبة ، وزعموا أن المعجزات حِيَلٌ ومخاريق .

قال ابن عساكر : حج أبو حامد وأقام بالشام نحواً من عشر سنين ، وصنّف ، وأخذ نفسه بالمجاهدة وكان مقامه بدمشق فى المنارة الغربية من الجامع. سمع صحيح البخارى من أبى سهل الحفصى وقدم دمشق فى سنة تسع وثمانين .

وقال ابن خلكان : بعثه النظام (= نظام الملك) على مدرسته ببغداذ فى سنة أربع وثمانين ، وتركها فى سنة ثمان وثمانين . وتزهّد وحجّ ، وأقام بدمشق مدةً بالزاوية الغربية . ثم انتقل إلى بيت المقدس وتعبد ، ثم قصد مصر وأقام مدة بالإسكندرية ، فقيل : عزم على المُضِىّ إلى يوسف بن تاشفين سلطان مراكش فبلغه نعيُه . ثم عاد إلى طوس ، وصنف « البسيط » و « الوسيط » [٧٧ ا] و « الوجيز » و « الخلاصة » و « الإحياء » . وألّف « المستصفى » فى أصول الفقه ، و « المنخول » و « اللباب » و « المنتحل فى الجدل » و « تهافت الفلاسفة » و « محك النظر » و « معيار العلم » و « شرح الأسماء الحسنى » و « مشكاة الأنوار » و « المنقذ من الضلال » و « حقيقة القولين » وأشياء .

قال ابن النجار : أبو حامد إمام الفقهاء على الإطلاق وربانى الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه ، وعين أوانه . برع فى المذهب والأصول والخلاف والجدل والمنطق وقرأ الحكمةَ والفلسفة وفهم كلامهم ، وتصدّى للرد عليهم . وكان شديد الذكاء قوىّ الإدراك ذا فطنة ثاقبة وغوص على المعانى حتى قيل إنه ألّف « المنخول » فرآه أبو المعالى فقال : دفنتنى وأنا حىّ ! فهلا صبرت ؟ الآنَ كتابُك غطّى على كتابى .

ثم روى ابن النجار بسنده أن والد أبى حامد كان يغزل الصوف و يبيعه فى دكانه بطوس فأوصى بولديه محمد وأحمد إلى صديق له صوفىّ صالح ، فعلمهما الخط . وفنى ما خلف لهما أبوهما وتعذر عليهما القوت ، فقال : أرى لكما أن تلجآ إلى المدرسة كأنكما طالبان للفقه عسى يحصل لكما قوتٌ . ففعلا ذلك .

قال أبو العباس أحمد الخطيبى : كنت فى حلقة الغزالى فقال : مات أبى وخلف لى ولأخى مقداراً يسيراً ، ففنِىَ بحيث تعذر علينا القوت . فصرنا إلى مدرسة نطلب الفقه ، ليس المراد سوى تحصيل القوت ، فكان تعلُّمنا لذلك لا لله ، فأبى أن يكون إلاّ لله .

قال أسعد الميهنىّ : سمعت أبا حامد يقول : هاجرت إلى أبى نصر الإسماعيلى بجرجان فأقمت ، إلى أن أخذت عنه «التعليقة» . قال عبد الله بن على الأشير سمعت عبد المؤمن بن على القيسىّ ، سمعت أبا عبد الله بن تومرت يقول : أبو حامد الغزالى قرع الباب وفُتح لنا .

قال ابن النجار : بلغنى أن إمام الحرمين قال : الغزالى بحرٌ مُغْرِق ، والكيا أسد مُطْرِق ، والخوافى نارٌ تحرق .

قال أبو محمد العثمانى وغيره : سمعنا محمد بن يحيى العبدرى المؤدب يقول : رأيت بالإسكندرية سنة خمس مائة كأن الشمس طلعت من مغربها ؛ فعبره لى عابرٌ ببدعة تحدث فيهم ؛ فبعد أيام وصل الخبر بإحراق كتب الغزالى من ألمرية .

وفى التوكل من « الإحياء » مانصّه : وكل ما قسّم الله بين عباده من رزق وأجَل وإيمان وكفر فكلُّه عدل محض ، ليس فى الإمكان أصلاً أحسنُ ولا أتمُّ منه . ولو كان ، وادّخره تعالى مع القدرة [٧٧ ب] ولم يفعله ـ لكان بخلاً وظلماً . قال أبو بكر بن العربى فى «شرح الأسماء الحسنى» : قال شيخنا أبو حامد قولاً عظيماً انتقده عليه العلماء فقال : وليس فى قدرة الله أبدعُ من هذا

العالم فى الإتقان والحكمة ، ولو كان فى القدرة أبدع وأحكم منه ولم يفعله لكان ذلك منه قضاءاً للجود وذلك محال . ثم قال : والجوابُ أنه باعد فى اعتقاد عموم القدرة ونفى النهاية عن تقدير المقدورات المتعلقة بها ، ولكن فى تفاصيل هذا العالم المخلوق ، لا فى سواه . وهذا رأىُ فلسفى قصدت به الفلاسفة قلب الحقائق ، ونسبت الإتقان إلى الحياة مثلاً ، والوجودَ إلى السمع والبصر ، حتى لا يبقى فى القلوب سبيلٌ إلى الصواب . وأجمعت الأمة على خلاف هذا الاعتقاد ، وقالت عن بكرة أبيها إن المقدورات لانهاية لها لكل مقدّر الوجود ، لا لكل حاصل الوجود ، إذ القدرة صالحة . ثم قال : وهذه وهلة لا لعا لها ومنزلة لاتماسك فيها ، ونحن وإن كنا نقطة من بحره ، فإنا لا نرد عليه إلا بقوله قلتُ كذا ، فليكن الردُّ بأدبٍ وسكينة .

ومما أخذ عليه : قال إن للقدر سرّاً نُهينا عن إفشائه — فأى سرّ للقدر ؟ فإن كان مدركاً بالنظر وُصِل إليه ، ولابد . وإن كان مُدْرَكاً بالخبر فأثبت فيه شيء ، وإن كان يدرك بالحال والعيان فهذه دعوى محضة . فلعله عنَى بإفشائه أن نعمق فى القدر ونبحث فيه .

أنبأنا محمد بن عبد الكريم ، أنبأنا أبو الحسن السخاوى أنبأنا حطلبا ابن قريه الصوفى ، أنبأنا سعد بن أحمد الاسفراييني بقراءتى ، أنبأنا أبو حامد محمد بن محمد الطوسى قال : اعلم أن الدين شطران ، أحدهما ترك المناهى ، والآخر فعل الطاعات ، وترك المناهى هو الأشد ، والطاعات يقدر عليها كل أحد ، وترك الشهوات لا يقدر عليها إلاّ الصدّيقون ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : المهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه .

وقال أبو عامر العبدرى : سمعت أبا نصر أحمد بن محمد بن عبد القاهر

الطوسى يحلف بالله أنه أبصر فى نومه كأنه ينظر فى كتب الغزالى — رحمه الله — فإذا هى كلها تصاوير . — قلتُ : الغزالى إمام كبير ، وما من شرط العالم أنه لا يخطئ .

وقال محمد بن الوليد الطرطوشى فى رسالة له إلى ابن مظفّر : فأما ما ذكرت من أبى حامد [١٧٩] فقد رأيته وكلمته ، فرأيته جليلاً من أهل العلم ، واجتمع فيه العقل والفهم ، ومارس العلوم طول عمره ، وكان على ذلك معظّم زمانه . ثم بدا له عن طريق العلماء ، ودخل فى غمار الجهال ، ثم تصوّف وهجر العلوم وأهلها ، ودخل فى علوم الخواطر وأرباب القلوب ، ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاّج ، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين . ولقد كاد أن ينسابخ من الدين . فلما عمل « الإحياء » عَمَد يتكلم فى علوم الأحوال ومراسم الصوفية ، وكان غير أنيس بها ولا خبير بمعرفتها ، فسقط على أمّ رأسه ، وشحن كتابه بالموضوعات[1] .

قلتُ : أما « الإحياء » ففيه من الأحاديث الباطلة جملةٌ ، وفيه خيرٌ كثير لولا مافيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومُنْحَرِفى الصوفية ؛ نسأل الله علماً نافعاً . تدرى ما العلم النافع ؟ هو ما نزل به القرآن وفسّره الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً ، ولم يأتِ نهىٌ عنه . قال عليه السلام : مَنْ رغب عن سُنّتى فليس منّى ، فعليك يا أخى بتدبّر كتاب الله و بإدمان النظر فى الصحيحين وسُنَن النَّسائى « و رياض » النواوى وأذكاره — يفلح وتنجح . و إياك وآراء عُبّاد الفلاسفة ، ووظائف أهل الرياضات ، ووجوع الرهبان ، وخطاب طيش رءوس أصحاب الخلوات ! فكل الخير فى متابعة الحنيفية السّمحة . فواعزتاه بالله ! اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم ، نعم !

(١) أى الأحاديث الموضوعة .

والإمام محمد بن على المازرى الصقلى كلامٌ على « الإحياء » يدلُّ على إمامته يقول : «وقد تكررت مكاتبتكم فى استعلام مذهبنا فى الكتاب المترجم بـ « إحياء علوم الدين » . وذكرتم أن آراء الناس فيه قد اختلفت : فطائفة انتصرت وتعصّبت لاشتهاره ، وطائفة حذّرت منه ونفّرت ، وطائفة لكتبه أحرقت . وكاتبنى أهلُ المشرق أيضاً يسألوننى . ولم يتقدم لى قراءةُ هذا الكتاب ، سوى نُبَذ منه . فإن نفّس الله فى العمر مددتُ فيه الأنفاس ، وأزلتُ عن القلوب الالتباس . اعلموا أن هذا رأيتُ تلامذته ، فكلٌّ منهم حكى لى نوعاً من حاله ما قام مقام العيان . فأنا أقتصر على ذكر حاله وحال كتابه وذكر جُمل من مذاهب الموحِّدين والمتصوفة وأصحاب الإشارات والفلاسفة [٧٩ ب] فإن كتابه متردد بين هذه الطرائق » .

ثم إن المازرى أثنى على أبى حامد فى الفقه، وقال : « وهو بالفقه أعرفُ منه بأصوله ، وأما علم الكلام الذى هو أصول الدين فإنه صنّف فيه ، وليس بالمتبحّر فيها . ولقد فطنت لعدم استبحاره فيها ، وذلك أنه قرأ علوم الفلسفة قبل استبحاره فى فن الأصول ، فأكسبته الفلسفةُ جرأة على المعانى ، وتسهّلاً للهجوم على الحقائق ؛ لأن الفلاسفة مع خواطرها ، لا يزعها شرعٌ . وعرّفنى صاحبٌ له أنه كان له عكوف على « رسائل إخوان الصفا » ، وهى إحدى وخمسون رسالة ، ألّفها مَنْ قد خاض فى علم الشرع والنقل ، وفى الحكمة ، فخرج بين العلمين . وقد كان رجلٌ يعرف بابن سينا ملأ الدنيا تصانيف ، أدّته قوّته فى الفلسفة إلى أن حاول ردّ أصول العقائد إلى علم الفلسفة . وتلطف جهده حتى تمّ له ما لم يتمّ لغيره . وقد رأيت جُملاً من دواوينه ، ووجدت أبا حامد يعوّل عليه فى أكثر ما يشير إليه من علوم الفلسفة . وأمّا مذاهب الصوفية فلا أدرى على مَنْ عوّل فيها ! لكنّى رأيت فيما علّق بعضُ أصحابه أنه ذكر كتب ابن سينا وما فيها ، وذكر

بعد ذلك كتب أبى حيّان التوحيدى . وعندى أنه عليه عوّل فى مذهب التصوف . وأُخْبِرْتُ أن أبا حيان ألّف ديواناً عظيماً فى هذا الفن . وفى « الإحياء » من الواهيات كثير .

قال : وعادة المتورّعين أن لا يقولوا : قال مالك ، وقال الشافعى ـ فيما لم يثبت عندهم ـ . ثم قال : ويستحسن أشياء مبناها على ما لا حقيقة له كقصّ الأظفار وأن يُبْدأ بالسبابة لأنها لها الفضلَ على باقى الأصابع ، لأنّها المسبِّحة ؛ ثم قص ما يليها من اوسطى لأنها ناحية اليمين ، ويختم بإبهام اليمنى ـ وروى فى ذلك أثراً ـ قلتُ : هو أثرٌ موضوع .

ثم قال : وقال من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن البارى قديم مات مسلماً إجماعاً . قال : فيه تساهل فى حكاية الإجماع فى مثل هذا الذى الأقرب أن يكون الإجماع فى خلافه . فحقيق أن لا يوثق بما روى . ورأيت له فى الجزء الأول يقول : إن فى علومه ما لا يسوغ أن يودع فى كتاب . فليت شعرى : أحق هو أو باطل ؟ فإن كان باطلاً فصدق ، وإن كان حقاً — وهو مراده بلاشك — فلم لا يودع فى الكتب ؟ ألغموضه ودقّته ؟ فإن هو فهمه ، فما المانع أن يفهمه غيره ؟

قال أبو الفرج ابن الجوزى : [١٨٠] صنّف أبو حامد « الإحياء » ، وملأه بالأحاديث الباطلة ، ولم يعلم بطلانها ؛ وتكلم على الكشف ، وخرج عن قانون الفقه . وقال إن المراد بالكوكب والقمر والشمس اللواتى رآهن إبراهيم : أنوار هى حُجُبُ الله عز وجل ، ولم يرد هذه المعروفات . وهذا من جنس كلام الباطنية .

وقد رد ابن الجوزى على أبى حامد فى كتاب « الإحياء » وبيّن خطأه فى مجلدات[1] سماه كتاب الإحياء .

ولأبى الحسن بن سكر رد على الغزالى فى مجلد سمّاه : « إحياء ميّت الأحياء فى الرد على كتاب الإحياء » .

قلتُ : ما زال الأئمة يخالف بعضهم بعضاً ، ويرد هذا على هذا . ولسنا ممن يذم العالم بالهوى والجهل . نعم !

وللإمام : كتاب « كيمياء السعادة » ،وكتاب «المعتقد» وكتاب « إلجام العوام » ، وكتاب « الرد على الباطنية » ، وكتاب « معتقد[2] الأوائل » ، وكتاب « جواهر القرآن » ، وكتاب « الغاية القصوى » ، وكتاب « فضائح الإباحية » ، و « مسئلة غور الدور » — وغير ذلك .

قال عبد الغافر الفارسى : توفى يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسماية وله خمس وخمسون سنة . ودفن بمقبرة الطابران ، قصبة بلاد طوس .

وقولهم الغزّالى والعطّارى والخبّازى — نسبةٌ إلى الصنائع بلسان العجم ، يجمع ياء النسبة والصنعة .

وللغزالى اخ واعظ مشهور ، وهو أبو الفتوح أحمد ، له قبول عظيم فى الوعظ . يُزَنُّ برقة الدين وبالإباحة . بقى إلى حدود العشرين وخمسماية .

(١) كذا فى النص ، وصوابه : فى مجلد سماه « إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء » — راجع هنا ملحق رقم ١٠

(٢) أى : « مقاصد الفلاسفة » — وذكره بهذا الاسم معناه أنه غير كتاب « المعتقد » المذكور فى السطر السابق .

وقد ناب عن أخيه فى تدريس النظامية ببغداد لما حجّ مديدة .

قرأت بخط النواوى رحمه الله : قال الشيخ تقى الدين ابن الصّلاح ، وقد سُئِل : لِمَ سُمِّى الغزالى بذلك ؟ فقال : حدثنى من أبويه عن أبى الحرم المكى الأديب ، حدثنا أبو البناء محمود الفرضى قال حدثنا تاج الإسلام ابن خميس قال لى الغزّالى : الناس يقولون لى الغزّالى ولستُ الغزّالى ، وإنما أنا الغزالى منسوب إلى قرية يقال لها غَزَالة ، أو كما قال .

وفى أواخر « المنخول » للغزالى كلام فجّ فى إمام[1] لا أرى نقله هنا .

ومن عقيدة أبى حامد رحمه الله تعالى : أولها : « الحمد لله الذى تعرّف إلى عباده بكتابه المنزّل على لسان نبيّه المرسل بأنه فى ذاته واحدٌ لا شريك له ، فردٌ لا مثل له ، صَمَدٌ لاضدّ له ، لم يزل ولا يزال [٨٠ب] منعوتاً بنعوت الجلال ، ولا يحيط به الجهات ، ولا تكتنفه السموات ، وأنه مستوٍ على العرش على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده ، منزّهاً عن المماسّة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ،وهو فوق كل شىء إلى التخوم ، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد ، لا يماثل قربه قرب الأجسام ، كان قبل خلق المكان والزمان ، وهو الآن على ما كان عليه ، وأنه بائنٌ بصفاته من خلقه ، ما فى ذاته سواه ، ولا فى سواه ذاته . مقدّس عن التغيُّر والانتقال ،لا تحلّه الحوادث . وأنه مرئىٌّ الذات بالأبصار فى دار القرار إتماماً للنعم بالنظر إلى وجهه الكريم » — إلى أن قال : « ويدرك حركة الذرّ فى الهواء ، لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر ، وأن القرآن مقروء بالألسنة ، محفوظ فى القلوب ، مكتوب فى المصاحف ، وأنه مع ذلك قائم بذات الله لا يقبل الانفصال بالانتقال إلى القلوب والصحف ؛ وأن موسى سمع كلام الله

(١) أى الإمام أبو حنيفة ، راجع هنا ص رقم ٢ .

بغير صوت ولا حرف ، كما ترى ذاته من غير شكل ولا لون ، وأنه يفرّق بالموت بين الأرواح والأجسام ، ثم يعيدها إليها عند الحشر ، فيبعث من فى القبور .

ميزان الأعمال معيار يُعَبّر عنه بالميزان وإن كان لا يساوى ميزان الأعمال ميزان الجسم الثقيل كميزان الشمس وكالمسطرة التى هى ميزان السطور ، وكالعروض ميزان الشعر » .

قلتُ : بل ميزان الأعمال له كفّتان ، كما جاء فى الصحيح ؛ وهذا المعتقد غالبه صحيح ، وفيه ما لم أفهمه ، وبعضه فيه نزاع بين أهل المذاهب . ويكفى المسلم فى الإيمان أن يؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورُسُله ، والقدر : خيره وشرّه والبعث بعد الموت ، وأن الله ليس كمثله شيء أصلاً ، وأن ما ورد من صفاته المقدّسة حق يمرّ كما جاء ، وأن القرآن كلامُ الله وتنزيله ، وأنه غير مخلوق — إلى أمثال ذلك مما أجمعت عليه الأمّة ؛ ولا عبرة بمن شذّ منهم . فإن اختلفت الأمّة فى شيء من مُشْكِل أصول دينهم ، لزمنا فيه الصمت وفوّضناه إلى الله وقلنا : الله ورسوله أعلم . ووسّعنا فيه السكوت .

فرحم الله الإمام أبا حامد . فأين مثله فى علومه وفضائله ؟ ! ولكن لا ندّعى [١٨١] عصمته من الغلط والخطأ ، ولا تقليدِ فى الأصول .

من كتاب « الطبقات للشيخ محيى الدين النواوى » اختصار طبقات الشيخ تقى الدين عثمان ابن الصلاح .

نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٢١ تاريخ

[ورقة ١٣٢] .

... قال الشيخ [١] : كتاب « المضنون »[٢] ، المنسوب إليه ، معاذ الله أن يكون له ! وقد شاهدتُ على ظهر كتاب نسخة منه [٣] بخط الصدر المكين القاضى كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى أنه موضوع على الغزالى ومخترع من كتاب « مقاصد الفلاسفة » الذى نقضه بكتاب « تهافت الفلاسفة » ؛ وأنه نفذ فى طلب هذا الكتاب إلى البلاد البعيدة ، فلم يقف له على خبر . قال : وهذه النسخة ظهرت فى هذا الزمان القريب ولا تليق بما صحّ عندنا من فضل الرجل ودينه .

قال الشيخ : وقد نقل كتاب آخر مختصر نُسِب إليه . ولما بحثنا عنه تحققنا أنه وُضِع عليه ؛ وفى آخر هذه النسخة بخط آخر : هذا منقول من كتاب [حكاية[٤]] « مقاصد الفلاسفة » حرفاً بحرف . والغزالى إنما ذكره « المقاصد » فى حكاية عنهم غيرَ مُعْتَقِدٍ له ، وقد نقضه بكتاب « التهافت » . وهذا الكتاب فيه التصريح بقدم العالم ، ونفى الصفات ، وبأنه لا يعلم الجزئيات سبحانه وتعالى ، والإشارة إلى إحالة حشر الأجساد بإثبات التناسخ . ولم يكن هذا معتقده .

(١) أى ابن الصلاح .
(٢) ص : المظنون .
(٣) ص : به
(٤) كذا فى النص، وهو مقترح حذفه .

— ١٨ —

من كتاب « القواصم والعواصم » لأبى بكر محمد بن عبدالله بن العربى

نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٠٣١ ب

[ورقة ٧ ب] .

قاصمة : ولقد فاوضت فيها أبا حامد الغزالى حين لقانى له بمدينة السلام فى جمادى الآخرة سنة تسعين وأربع مائة . وقد كان راض نفسه بالطريقة الصوفية من سنة ست وثمانين إلى ذلك الوقت نحواً من خمسة أعوام ، وتجرّد لها ، واصطحب مع العزلة ، ونَبذ كلّ فِرقة ، فتفرغ لى بسببٍ بيّناه فى كتاب « ترتيب الرحلة » . فقرأت عليه جملة من كتبه ، وسمعت كتابه الذى سمّاه « بالإحياء لعلوم الدين » . فسألته سؤال المسترشد عن عقيدته ، المستكشف عن طريقته لأقف — من منتهى تلك الرموز التى أومأ إليها كتبه — على موقف تامّ المعرفة . وطفق يجاوبنى مجاوبة الناهج لطريق التسديد للمريد لعظيم مرتبته وسموّ منزلته ، وما ثبت له فى النفوس من تكرمته . فقال لى من لفظه وكتب لى بخطه : « إن القلب إذا تطهّر عن علاقة البدن المحسوس وتجرّد للمعقول انكشفت له الحقائق . وهذه أمور لاتُدْرَك إلا بالتجربة لها عند [١٨] أربابها بالكون معهم والصحبة لهم ، ويرشد إليه طريقٌ من النظر ، وهو أن القلب جوهر صقيل مستعد لتجلى المعلومات فيه عند مقابلتها عريًّا عن الحجب كالمرآة فى تراءى المحسوسات عند زوال الحجب من صدّ الإبط أو ستر من ثوب أو حائط ، لكنه بتراكم الآفات عليه يصدأ حتى لايتجلّى فيه شىء ، أو يتجلّى معلومٌ دون معلوم

بحسب موارة الحجاب له من ازورار أو كثافة أو شفف ، فيتخيل فيها مخلية غير متحلّية ، كأنه ينظر من وراء شف . ألا ترى إلى النائم إذا أفلت قلبه من يد الحواس وانفكّ من أسرها كيف تتجلى له الحقائق ، تارةً بعينها وأخرى بمثالها ؟ » .

قال لى : « وقد تصدأ النفوس ويصفو القلب حتى يؤثر فى العوالم ، فإن للنفوس قوة تأثيرية موجدة ، لكن — كما قلنا — مايتوارد عليها من شعوب البدن وعلائق الشهوات يحول بينها وبين تأثيرها حتى لا يبقى لها تأثير إلّا فى محلّها وهو البدن خاصّة ، كالرجل يمشى فى الأرض على عرض شبر ، ولو علاجداراً مرتفعاً عرضه ذراع ما استطاع أن يبسط خطاه عليه ، فإنه يتوهم سقوطه عنه ؛ فإذا استشعرت ذلك النفس صحّة واستقرت عليه بالفعل لها وسقط مسرعاً . وقد تقوى على أكثر من ذلك فيكون تأثيرها فى غير محلها من جنسها كما ينظر الرائى إلى جسم حسن فيقع فى قلبه استحسانه،فإذا نطق بذلك عليه تأثر بذلك فلبط به أو هلك فى ذاته . ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : إن العين لتُدْخل الرَّجُلَ القبر والجَمَل القدر . وقد تتزيّد قوتها بصفائها واستعدادها فتعتقد إنزال الغيث وإنبات النبات ، ونحو ذلك من معجزات خارقات للعادات . فإذا نطقت به كان على نحو . وهذه نفوس الأنبياء ، وهى الآيات التى تأثرت بها أحوالهم » .

— ١٩ —

من « العقد المذهب فى طبقات حَمَلة المذهب » لسراج الدين أبى حفص عمر بن العلامة أبى الحسن على النحوى بن أحمد بن محمد الأنصارى الأندلسى المرسى المعروف بابن الملقّن ، المتوفى سنة ٨٠٤ هـ / سنة ١٤٠١ م .

مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٧٩ تاريخ*

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، أبو حامد ، الغزالى الطوسى

[ورقة ١٥٦]

زين الدين ، حجة الإسلام ، أحد الأئمة . ولد بطوس سنة خمسين وأربعماية ، سنة مات الماوردى وأبو الطيب الطبرى . وكان والده يغزل الصوف ويبيعه فى دكانه بطوس . وكان اشتغاله أولاً لطلب القوت لما نفد ما خلفه أبوه . قال الغزالى : فأبى أن يكون إلا فقيهاً . ويحكى أن أباه كان يجالس المتفقهة ويسأل [٥٦ ب] الله أن يرزقه ابناً فقيهاً ، ويجالس الوعّاظ ويسأل الله أن يرزقه ابناً واعظاً ، فاستجيب له فى محمد وأحمد . اشتغل على الإمام وغيره ، ورحل . وكان الإمام ينحصر من تصانيفه ، وإنه لما صنّف « المنخول » عَرَضه عليه فقال : « دفنتنى وأنا حىّ ، فهلاّ صبرت حتى أموت ؟ لأن كتابك غطى على كتابى » .

وُلّى تدريس النظامية ، ثم خرج عما هو فيه إلى طريق التصوف ، واستوطن

* مخطوط حديث ، تاريخه ١٦ شعبان سنة ١٢٩٩ على يد محمد يعقوب ؛ ويقع فى ٢٧١ ورقة ومسطرته ٢١ سطراً ، بخط نسخى جيل .

دمشق عشرين (!) سنين ، وصنّف « الإحياء » واجتمع بالشيخ نصر المقدسى . ثم انتقل إلى القدس ، ثم إلى مصر والإسكندرية ثم عاد إلى طوس .

وكان جامعاً للفنون ، وصنّف فيها إلا النحو فإنه لم يكن فيه بذاك ، وإلاّ الحديث فإنه كان يقول : أنا مُزْجى البضاعة منه . ثم طُلِب إلى تدريس نظامية نيسابور فأجاب محتسباً فيه الخير والإفادة ونشر العلم ، فأقام مدةً على ذلك ثم تركه ، وأقبل على لزوم داره وابتنى خانقاه إلى جواره ، ولزم تلاوة القرآن والاشتغال بالحديث يسمع البخارى وبعض سُنَن أبى داود . ولو طالت مدته لبرز فيه ، لكن عاجلته المنيّة فمات سنة خمس وخمسماية عن خمس وخمسين سنة ، ودفن بمقبرة الطابران

ومن مصنّفاته المشهورة :

(١) البسيط	(٢) والوسيط
(٣) والوجيز	(٤) والخلاصة
(٥) والإحياء	(٦) وغاية الغور فى دراية الدور
(٧) المستصفى	(٨) المنخول
(٩) واللباب	(١٠) وبداية الهداية
(١١) ومنهاج العابدين	(١٢) وكيمياء السعادة

(١٣) وتحصين المآخذ — وغيرها .

وقد تكلم على « الإحياء » جماعة منهم [١٥٧] أبو بكر بن العربى ، والمازرى ، والطرطوشى أبو بكر محمد بن الوليد . وقد أوضحت ترجمته فى كتاب « تذكرة الأخيار بما فى الوسيط من الأخبار » — فسارع إليه ترشد ، وبالله التوفيق .

ومن شعره ما أنشده ابن السمعانى فى ذيله :

حلّت عقاربُ صُدْغه فى خدّه ... قمراً تجلّ به عن التشبيه

ولقد عهدناه يُحلُّ بُبرْجها ... فمن العجائب كيف حلّت فيه !

وله أيضاً — أنشده العماد الأصبهانى فى « الخريدة » :

هَبْنِي صبوتُ كما ترون بزعمكم ... وحظيت منه بلثم خدّ أزهر

إنىّ «اعتزلتُ» فلا تلوموا ، إنه ... أضحى يقابلنى بوجه «أشعرى»

مؤلفات الغزالي

تأليف

عبد الرحمن بدوي

الطبعة الثانية

١٩٧٧

الناشر
وكالة المطبوعات
٢٧ شارع فهد السالم - الكويت

مؤلفات الغزالي

تأليف عبد الرحمن بدوي

LES OEUVRES D'AL-GHAZÂLÎ

Etude bibliographique

Par

'ABDURRAHMÂN BADAWI

توزيع
دار القلم
بيروت - لبنان